مجلة تراثية فصلية محكمة

المورد

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق
المجلد الخامس والعشرون ـ العدد الثاني ـ ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م

WWW.ATTAWEEL.COM

أسعد الديري محمد

الجهاد في خطابة صدر الأسلام

ناهي ابراهيم العبيدي

الجامعة التكنولوجية - هندسة البناء والانشاءات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

موضوع هذا البحث هو « الجهاد في خطابة صدر الاسلام » ونعني به جهاد الكلمة المؤمنة الصادقة المؤثرة في النفس التي صدحت بها حناجر اولئك الرجال العظام في ميادين الجهاد إبان غزوات الرسول (ﷺ) ، وحروب الردّه ، والفتوحات الاسلامية . تلك الكلمة التي عبّر فيها الخطباء المجاهدون عن انتمائهم الحقيقي الى الاسلام وايمانهم القوي به ، والتضحية في سبيله . ويأتي في المقام الأول منهم النبي محمد (ﷺ) ، وخلفاؤه رضوان الله عليهم ، والقادة والامراء والمقاتلون .

لقد كانت الخطابة يومذاك وسيلة المجاهدين في استنهاض الهمم والدفاع عن الدين ، وإرهاب الاعداء ، وجمع كلمة المؤمنين ، بل كانت بحق عماداً وسنداً للرسالة التي أمنوا بها ، وسبباً من أقوى الاسباب في تحقيق اهدافهم العظيمة وغاياتهم النبيلة ، لذلك فإن الحديث عن أثر خطبة الجهاد في عصر الرسالة هو إبراز لاهمية الخطابة ، وتاكيد لاثرها في حث المؤمنين الصابرين من أبناء شعبنا وأمتنا على مواصلة الجهاد ضد قوى الشرك والضلال التي شنّت عدوانها اللئيم على قطرنا المجاهد ، وتسعى الآن بكل الوسائل الى خلخلة الإيمان وإضعافه في نفوس المجاهدين ، ومنعهم من تحقيق رسالتهم الانسانية في الحياة ، التي استلهموا معانيها ومبادئها من رسالة الاسلام وقيمه السمحاء .

لقد حان الوقت لان تعيش امتنا العربية عيشة كريمة كغيرها من الامم ، ولاسبيل لها الى ذلك إلا بالجهاد العملي الذي أساسه الرغبة في التضحية والحب في الاستشهاد . من هنا جاء هذا البحث ليقدم للمجاهدين المؤمنين صورة لذلك الجهاد العملي الذي مارسه المجاهدون بسيوفهم وألسنتهم في عصر الرسالة .

وقد اشتمل البحث على تمهيد وثلاثة مباحث ، تحدثت في التمهيد عن الخطابة في العصرين الجاهلي والاسلامي : نشأتها ، وانواعها ، ودواعي تطورها وازدهارها في الاسلام . وتكلمت في المبحث الاول عن الجهاد في خطب معارك الاسلام الاولى (في غزوات الرسول (ﷺ) ، وفي حروب الردة) ثم تحدثت في المبحث الثاني عن الجهاد في خطب الفتوحات الاسلامية (في فتوحات الجبهة الشرقية ، وفي فتوحات الجبهة الغربية) أما المبحث الثالث فتحدثت فيه عن الخصائص الفنية لخطب الجهاد في صدر الاسلام .

أرجو أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث ، وأسأل الله أن يوفقنا ، ويجنبنا الخطأ ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

التمهيد

١ ـ الخطابة في العصر الجاهلي

لاريب أن العرب عرفوا فن الخطابة قبل الاسلام بزمن طويل ، إذ كانت الحياة العامة في ذلك العصر تستدعي وجود هذا الفن . فالحياة القبلية وماتستتبعه من منازعات وخصومات وحروب ، وماتؤدي اليه هذه الحروب أحياناً من محاولات لاصلاح ذات البين ونشر السلم بين القبائل المتنازعة . واضطراب الحياة الدينية ومارافق هذا الاضطراب من محاولات للارشاد والدعوة لنبذ عبادة الأوثان . والحياة السياسية وماكانت تفرضه على العرب من صلات سلمية أو حربية بالامم المجاورة لهم ، وصلات افراد المجتمع القبلي بعضهم ببعض ، من تزاوج وتعامل وتفاخر وتفاخر ، ومافطر عليه العرب من فصاحة ولسن وحضور بديهة ـ كل اولئك أمور كانت تستدعي معرفة العرب بالخطابة ، بل أن تصيب خطأ ما من الرقي[1] .

www.attaweel.com

وبالرغم من أن العرب قد عرفوا الخطابة قبل الاسلام ، وكان لهم نصيب وافر منها ، إلا أنهم كانوا يقدمون الشاعر على الخطيب من جهة أن الشعر أعلق بالاذهان وأسرع تقلباً في البلاد ، فهو أرفع صوتاً بمفاخرهم ، واكثر إذاعة لمثالب أعدائهم . وتقديم العرب للشاعر على الخطيب ، أو إقبالهم على حفظ الشعر اكثر من اقبالهم على حفظ الخطب ، كان السبب في قلة ماوصل الينا من خطبهم في الجاهلية[٢] ولايعني هذا الإقبال على حفظ الشعر دون النثر أن العرب لم يعتنوا بخطبهم ونثرهم ، بل على العكس من ذلك إنهم اعتنوا بهما غاية الاعتناء . وهذا ماوضحه الجاحظ حين قال : « ماتكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به العرب من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولاضاع من الموزون عشره »[٣] ولهذا ضاع قدر كبير من خطبهم قبل عصر التدوين « لان الخطيب إنما كان يخطب في المقام الذي يقوم فيه في مشافهة الملوك ، أو الحالات ، أو في الاصلاح بين العشائر ، أو خطبة النكاح ، فإذا انقضى المقام حَفِظه مَنْ حَفِظه ، ونَسِيَه من نَسِيَه ، بخلاف الشعر »[٤] الذي ضاع منه قدر قليل . وطبيعي ان يبقى الشعر ويتفوق في بقائه على النثر ، لجريانه على ألسنة الناس ، وسهولة حفظه بسبب وزنه وقافيته .[٥]

ويمكن أن نضيف أن شيوع الامية ، وبعد المسافة بين العصر الذي قيلت فيه الخطابة وعصر تدوينها ، كانت هي الاخرى سبباً في قلة ماوصل الينا من خطبهم ، ولو كانت العرب أمة كاتبة ، يدونون آثارهم في صحف ، او ينقشون كغيرهم من امم التاريخ في الاحجار ، لاستطاع الناس ان يجدوا من آثار بلاغتهم في المساجلة بالخطب ، والمناقلة بالحوار شيئاً كثيراً ، غير أنك لاتزال تعد كثيراً من اسماء خطبائهم وساداتهم ، ثم لاتجد لهم او لاكثرهم شيئاً من القول مذكوراً .[٦]

ومن ألوان الخطابة التي كانت معروفة قبل الاسلام :

١ ـ المنافرات والمفاخرات :

وقد روت لنا كتب الادب جانباً من هذه المنافرات ، كمنافرة علقمة بن علاثه وعامر بن الطفيل العامريين ، وكان الحكم بينهما هرم بن قطبة الفزاري ، وكان المتنافران يتنافسان على الرياسة في بني عامر ، ويزعم كل منهما أنه أولى من صاحبه ، فيمدد مآثره ومناقبه ، يقول عامر : « والله لأنا أكرم منك حسباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول منك قصبا » فقال علقمة : لانا خيرٌ منك ليلًا ونهاراً ، ثم تنافرا آخر الامر الى هرم بن قطبة ، فسوى بينهما بأن جعلهما كركبتي البعير ،

وحقن بذلك دماء القوم[٧] .

٢ ـ خطب الحث على القتال أو على الاخذ بالثار :

وأشهرها خطبة هاني بن مسعود الشيباني في قومه يحرضهم على قتال الفرس يوم ذي قار[٨] .

٣ ـ خطب إصلاح ذات البين والدعوة الى الصلح وحقن الدماء :

ومن أشهرها خطبة قيس بن خارجة التي قالها إثر حرب داحس والغبراء ، وقد قيل إنه ظل يخطب الى الليل ، وقد سماها العرب « العذراء » لانه كان أبا عُذْرها[٩] . ولم تصل إلينا هذه الخطبة ، شانها شان كثير من الخطب المشهورة .

٤ ـ خطب الإملاك أو الزواج .

وكان يتولاها عادة شريف من رهط الرجل الراغب في الزواج ، فيخطب معدداً مآثر ذلك الرجل ، ويجيبه رجل من رهط المرأة بمثل مقاله . وكتب الادب والسيرة تروي لنا خطبة ابي طالب حين اراد الرسول محمد (ﷺ) الزواج من السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) . وكان لهذا النوع من الخطب أصول وآداب معينة ، والسُّنة فيها أن يطيل الخاطب ويقصر المجيب . وقد ذكر الجاحظ صورة خطبة النساء في الجاهلية وهي :« باسمك اللهم ، ذُكِرَتْ فلانة ، وفلان بها مشغوف ، باسمك اللهم ، لك ماسألت ، ولنا ماأعطيت » .[١١]

٥ ـ خطب الوعظ والارشاد :

وكان يتولاها من له في قومه منزلة الحكيم الناصح المرشد ، ولعل خطبة قس بن ساعدة التي قيل لنا إنه قالها في سوق عكاظ ، وأن الرسول (ﷺ) رواها عنه .[١٢] هي أشهر هذا الضرب .

٦ ـ خطب المحافل والوفود :

وكانت تلقى عادة في الاسواق والمواسم وفي مجالس الملوك عند وفادة سادة القبائل عليها مفاخرين او مهنئين او معزين او لغير ذلك من الاسباب ، ومن جيد الخطب الحفلية خطبة اكثم بن صيفي التي عزّى بها عمرو بن هند عن أخيه .[١٣]

٧ ـ الوصايا :

وهي في الغالب يوجهها الرجل الى آله او عشيرته عند احساسه بدنو منيته ، ليرشدهم فيها الى الطريق الذي ينبغي ان يسلكوه ، او الاداب التي ينبغي ان يتحلوا بها . ومن اشهر هذه الوصايا وصية عامر بن الظرب العدواني لبنيه[١٤] ، ووصية أكثم بن صيفي لقومه[١٥] ، ووصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم اياس[١٦] .

٦ ـ سجع الكهان :

www.attaweel.com

وعُرف هذا الضرب من الخطابة الجاهلية بهذا الاسم لالتزامه السجع ، ولان الذين عرفوا به هم طائفة الكهان الوثنيين في الجاهلية ، وكان الناس يفزعون اليهم ليطلعوهم على أمور الغيب ، ويفسروا لهم أحلامهم ورؤاهم وكثيراً ماكانوا يحتكمون إليهم في المنافرات . وكتب التاريخ تحدثنا عن منافرة هاشم بن عبدمناف وأمية بن عبد شمس ، واحتكامهما الى الكاهن الخزاعي الذي نفر هاشماً على أمية[١٧] .

هذا وتذكر لنا كتب الادب والتاريخ اسماء طائفة كبيرة من الخطباء المشهورين في العصر الجاهلي ، منهم : قس بن ساعدة[١٨] هند بنت الخس المعروفة بالزرقاء[١٩] ، لقيط بن معيد[٢٠] أكثم بن صيفي[٢١] ، ضمرة بن ضمرة المجاشعي[٢٢] ، حاجب بن زرارة ، قيس بن عاصم ،[٢٣] كعب بن لؤب[٢٤] ، عتبة بن ربيعة[٢٥] ، هاشم بن عبدمناف[٢٦] ، هاني بن مسعود الشيباني[٢٧] . وغيرهم كثيرون ، ولكن جّل هؤلاء لم يصل الينا شيء من خطبهم ، وان ماوصل الينا منها يعد قليلاً جداً ، وقد اعتبره بعض الباحثين منتحلاً لايمت الى الجاهليين بصلة[٢٨] . ولكن عدم الاطمئنان الى صحته لايفضي بنا الى انكار وجود الخطابة عند العرب قبل الاسلام .

تلك كانت الخطابة وموضوعاتها في العصر الجاهلي ، فلما جاء الاسلام وأحدث تغييره الهائل في العرب ، كان من الطبيعي ان ينعكس هذا التغيير على الخطابة ، اذ اعتمد عليها في إرساء دعوته !عتماداً يكاد يكون كلياً .

٢ ـ الخطابة في العصر الاسلامي

ولاعجب إذا قلنا ان الخطابة في العصر الاسلامي قد توافر لها من دواعي التطور والازدهار مالم يتوافر لها مثل في العصر الجاهلي . ويتفق الباحثون على أن الخطابة في هذا العصر قد حققت رقياً وازدهاراً لم يتحقق لها في أي عصر من العصور ، وكان ذلك بسبب عوامل مختلفة[٢٩] يمكن اجمالها بالآتي :

١ ـ القرآن الكريم :

منذ أن نزل القرآن وأعجز العرب ببلاغته أصبح معينا للادباء ، ينهلون منه ويقتبسون ، ويسعون الى محاكاة اسلوبه . وكان اثره في النثر ابرز منه في الشعر . فكذلك نجد أثره في خطابة هذا العصر واضحا قوياً ، سواء من حيث الاسلوب والصياغة ، أو من حيث الافكار والمعاني ، أو من حيث الصور والاخيلة . هذا فضلا عن اقتباس أيات منه ، وتوشيح الخطبة بها ، حتى انهم سموا الخطبة التي لم توشح بالقرآن ، ولم تزين بالصلاة على النبي (ﷺ) بـ « الشوهاء »[٣١] .

٢ ـ لقد أضافت احاديث الرسول (ﷺ) الى اللغة ثروة من المعاني وثروة من الاساليب التي كانت تعد من النبي (ﷺ) ابتداعاً وابتكاراً ، مثل قوله (حمى الوطيس) وقوله (مات حتف أنفه) وقوله (رويدك رفقاً بالقوارير) وفضلاً عن ذلك أنها هذبت اللغة تهذيباً قريباً من تهذيب القرآن ، اذ سهل الفاظها ، ورق اساليبها ، وذهب بالحوشي منها ، فكان لكل هذا اثره في الخطابة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى أن كثيراً من الخطباء كان يستشهد في خطبه بشيء مما أثر عن الرسول (ﷺ) تيمناً بقوله ، وتاكيداً على صحة مايدعون .

٣ ـ إن العرب ، مع القول بوجود الكتابة بينهم ، كانت الامية شائعة بينهم ، وفي هذه الحال تصبح الخطابة هي الوسيلة الوحيدة لدعوتهم الى الدين الجديد ، واقناعهم به ، وايصال شرائعه اليهم .

٤ ـ إن الاسلام عندما جاء أعلى من شأن العقل ، ورفع من قدره ، إذ اتجه الى الاقناع بالمنطق والحجة ، وجعل هذا شرطاً في صحة العقيدة ، وهو أصل من أصول الدين مكن الخطابة من أن يكون لها دور بارز يتراجع معه الشعر الذي يخاطب العاطفة لتحل الخطابة محله ، ويفسح لها المجال لمخاطبة العقل حتى يدرك كل ماجاء به الدين من أصول تتصل بالعقيدة .

٥ ـ لقد ارتبطت الخطابة بالدين ارتباطاً وثيقاً ، فقد كانت في البداية اداة للدعوة الى الاسلام ، ثم اتخذت بعد ذلك وسيلة للتشريع ورسم الحدود التي تقوم عليها الدولة في الاسلام ، ونظم الحياة في المجتمع الجديد .

٦ ـ إن المجتمع العربي بعد الاسلام نال حظاً من الرقي السياسي والاجتماعي ، فقد اصبحت تلك القبائل التي كانت تتناحر في الجاهلية أمة واحدة ، تخضع لراية واحدة هي الاسلام ، ويقودها قائد واحد هو الرسول (ﷺ) ومن بعده خلفاؤه الراشدون ، (رضي الله عنهم) ومن ثم دعت الحاجة الى الخطابة لتكون الصلة بين الرعية والنبي (ﷺ) وخلفائه ، ثم بين مجتمعات الامصار ، وولاتها ، والجيوش وقادتها .

٧ ـ إن المواقف التي عاشها المسلمون بعد وفاة الرسول (ﷺ) من جدل حول الخلافة ، وارتداد بعض العرب عن الاسلام ، ووقوع الفتنة بين المسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنهم) والخلافات التي ظهرت في زمن الامام علي (رضي الله عنه) كل هذه المواقف ادت الى أن تكون للخطابة مجالها الفسيح الذي جعلها ترقى وتزدهر .

٨ ـ واذا كانت الاحداث الداخلية كلها عاملاً فعالاً في ازدهار

www.attaweel.com

الخطابة في صدر الاسلام ، فان الفتوح الاسلامية التي اتسع نطاقها في زمن الخليفتين عمر وعثمان (رضي الله عنهما) والحياة الحضرية الجديدة التي عرفها العرب ، ولقيام حكومة نظامية لها دستورها وانظمتها ، ثم اختلاط العرب بالامم والحضارات الاخرى ، كان لهذا كله اثره في تطور الخطابة في هذا العصر ، واتسامها بسمات جديدة لم تعرفها من قبل .

٩ ـ ومما أعان أيضاً على تطور الخطابة وازدهارها في هذا العصر نظام الشورى الذي كان سائداً آنذاك ، وهو من أس الحكم الديمقراطي السليم . وقد جاء القرآن الكريم فوضع للمسلمين دستوراً يتبعونه بقوله « وأمْرهُمْ شورى بينهم »[٢٢] وسار الرسول (ﷺ) على خطة الشورى ، فكان كثيراً مايستشير اصحابه فيما يعرض له من الامور العامة ، شانه يوم أحد ويوم الخندق مثلاً ،[٢٣] وكذلك شان خلفائه من بعده ، فعمر (رضي الله عنه) عندما أراد الخروج على رأس جيش لقتال الفرس خطب بالمسلمين واستشارهم في الامر .[٢٤]

١٠ ـ وفضلاً عن ذلك كله ان العرب كانوا أهل لسن وفصاحة ، وكانوا يجيدون القول اعداداً وارتجالاً ، وكانوا بطبعهم قادرين على تصريف وجوه الكلام بصورة تثير الاعجاب ، وتدل على تفتح في الذهن وسلامة في الطبع . والخطابة كما تقوم على الاعداد تقوم على الارتجال ، ومقدرة العرب في الضربين تهيء لها الازدهار والرقي ، وبخاصة حين تنبعث الدواعي وتتعدد الاغراض .

موضوعات الخطابة في هذا العصر :

وقبل أن نعرض لموضوعات الخطابة في هذا العصر لابد من الاشارة الى أن الاسلام قد قضى على بعض ضروبها التي كانت معروفة في العصر الجاهلي لزوال دواعيها ، وعدم توافقها مع مبادئه وتعاليمه ، فمن الوان الخَطابة التي قضى عليها الاسلام (المنافرات والمفاخرات) لاتصالها بطبيعة الحياة الجاهلية ، والروح القائمة على العصبية القبلية ، والتنافر والتفاخر بالانساب والتنابز بالالقاب . ومع ان هذه المفاخرات قد انقرضت تماماً بمجيء الاسلام ، إلا أنها عادت الى الظهور ، ولكن في صور اخرى ، مثل صور المفاخرات التي كانت تحدث في مجالس الرسول (ﷺ) حين كانت تقدم عليه وفود القبائل ، من ذلك مفاخرة بني تميم للرسول (ﷺ) حين قدم عليه وفدهم ، وكان خطيبهم ثابت بن قيس بن الشماس وشاعرهم الزبرقان بن بدر . وانتهت المفاخرة باعتناق وفد تميم للاسلام[٢٥] .

ومن الانواع الاخرى التي انقرضت في هذا العصر (سجع الكهّان) وذلك لإتصاله بالوثنية التي قضى عليها الاسلام . وقد ظهر في هذا العصر ضرب من السجع قصد به محاكاة القرآن الكريم ، وهو هذا السجع الذي جرى على السنة المتنبئين والدعاة امثال مسيلمة الكذاب وسجاح التميمية .[٢٦]

أما بشأن موضوعات الخطابة التي ابقاها الاسلام وطورها فهي :

١ ـ الخطب الدينية :

وقد شملت العقائد ، والدعوة الى الاسلام ، والتشريع بما فيه من تبيين الحدود واقامة معالم الحلال والحرام ، والواعظ والارشاد بما فيه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وحث على مكارم الاخلاق ، وتبشير وانذار ، مثل خطبة الرسول (ﷺ) بمكة[٢٧] عندما نزل قوله تعالى : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)[٢٨] وموعظته في أول جمعة بالمدينة[٢٩] ، وخطبته في فتح مكة[٣٠] وخطبته في حجة الوداع[٣١] ، ومثل مواعظ الخلفاء الراشدين والصحابة (رضي الله عنهم اجمعين) التي كانوا يقولونها في مناسبات مختلفة .

٢ ـ خطب الحث على الجهاد :

مثل خطبة رسول (ﷺ) يوم بدر الكبرى[٣٢] ، وخطبة ابي بكر (رضي الله عنهم) حين عزم على تنفيذ وصية الرسول (ﷺ) بتوجيه الجيوش لفتح الشام[٣٣] ، وخطبة عمر (رضي الله عنهم) حين ندب الناس لفتح العراق وبلاد فارس[٣٤] وخطبة الامام علي (رضي الله عنه) في أهل الكوفة[٣٥] ومثل خطب امراء الجيوش والقواد ورجال الحرب في المعارك التي خاضوها ضد الفرس والروم إبان الفتوحات الاسلامية . هذا وسوف يكون مدار حديثنا في الفصول القادمة على هذا النوع من الخطب إن شاء الله .

٣ ـ خطب المحافل والوفود : مثل خطبة عطارد بن حاجب بين يدي الرسول (ﷺ)[٣٦] وخطبة الاحنف بن قيس بين يدي عمر (رضي الله عنه)[٣٧] .

٤ ـ خطب السياسة وبيان منهج الحكم : مثل خطب الخلفاء عند توليهم الخلافة[٣٨] ، وخطب المهاجرين والانصار في سقيفة بني ساعدة[٣٩] .

٥ ـ المناظرات : مثل المناظرات التي قامت بين الامام علي (رضي الله عنه) وانصاره من جانب ، وبين الخوارج من جانب آخر[٤٠] .

٦ ـ خطب الاملاك او النكاح : مثل خطبة بلال التي قالها عندما خطب على امرأة من قريش[٤١] .

٧ ـ الوصايا : مثل وصية ابي بكر لعمر (ضي الله عنهما) حين عهد اليه بالخلافة من بعده[٤٢] ووصية عمر (رضي الله عنه)

www.attaweel.com

لسعد بن ابي وقاص حين وجهه الى العراق عند ابتداء أمر القادسية [٥٣] ، ووصية المثنى بن حارثة الشيباني للمسلمين في يوم البويب[٥٤] .

والآن ، وقد عرضنا موضوعات الخطابة الاسلامية وطابعها العام ، مقارنة بموضوعاتها قبل الاسلام ، ينبغي أن نشير الى أشهر الخطباء العرب في عصر صدر الاسلام ، وياتي في المقدمة منهم متلهم الاعلى الرسول محمد (ﷺ) وخلفاؤه من بعد ، ابو بكر وعمر وعثمان وعلي (رضوان الله عليهم اجمعين) والصحابة الآخرين والقادة الميدانيين ، من امثال خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وابو عبيد بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، والمثنى بن حارثة الشيباني ، وثابت بن قيس ، ومن النساء عائشة والخنساء ، وغيرهم كثيرون . هذا وسوف نقف عند بعض خطبهم في الصفحات القادمة .

المبحث الاول

الجهاد في خطب معارك الاسلام الاولى

كتب على المسلمين الجهاد[٥٥] ، منذ أن بشر الرسول محمد (ﷺ) بالرسالة الاسلامية ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة وصريحة في الدعوة الى الجهاد ، من مثل قوله تعالى : (وَجَاهِدُوا فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ)[٥٦] وقال : (يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[٥٧] وقال : (فَلَاتُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً)[م٨٥] وقال : (يَاأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ)[٥٩] قال : (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ)[٦٠] وقال : (تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[٦١] وقال : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاتَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)[٦٢] وقال : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ)[٦٣] وقال : (وَأَعِدُّوا لَهُم مَااسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)[٦٤] وقال : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ)[٦٥] وقال : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)[٦٦] وقال : (وَقَاتِلُوا فِي سبيل الله واعْلَمُوا أَنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[٦٧] وقال : (وَقَاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ)[٦٨] وقال : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ على نصرهم لَقَدِيرٌ ، ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ، إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ)[٦٩] وقال : (ٱنْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُون)[٧٠] وقال : (ولاتَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ولكن لاتَشْعُرُون)[٧١] وقال : (وَلَاتَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بل أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)[٧٢] .

وانطلاقاً من هذه الايات البينات شرع رسولنا الكريم (ﷺ) يحرض المؤمنين على الجهاد في جُلّ خطبه واحاديثه النبوية . فعن ابي سعيد الخدري ، قال : قال رجلٌ : أيُّ الناسِ أفضلُ يارسول اللّهِ ؟ قال : « مؤمنٌ يُجاهِدُ بنفسِهِ ومالِهِ في سبيل اللّهِ ، قال : ثمّ من ؟ قال : رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ في شعبٍ من الشِّعاب يَعْبُدُ ربَّهُ ، وَيَدَعُ النّاسَ مِنْ شرِّهِ »[٧٣] عن ابي هريرة قال : قال رسول الله (ﷺ) : «والذي نفس محمد بيده لَوَدِدْتُ أنْ أغزوا في سبيل اللّهِ فأُقْتَل ، ثُمّ أغْزوا فأُقْتَل ، ثم أغْزوا فأُقْتَلُ » [٧٤] وعن عبدالله بن عمر ان رسول الله (ﷺ) قال : « رباطُ يومٍ خيرٌ من صيامِ شَهْرٍ وقيامه »[٧٥] .

وحين تدعو الايات القرآنية ، والسُنّةُ النبوية ، الى حقيقة الجهاد وضرورته ، فهي إنّما تدعوا الى الخير كله ، سواء الجهاد في سبيل الله تعالى أو الجهاد في سبيل الحق والواجب والوطن او الجهاد في سبيل اصلاح ذات انفسنا . ويجب ألا يفهم من فرض الجهاد في سبيل الله ، أنه من أجل قتل المشركين والكافرين ظلماً وعدواناً ، او اكراههم على أن يكونوا مسلمين ، أو من أجل مطمح في غزو ، يراد به التوسع الاقليمي ، أو من أجل الحصول على الغنائم ، فذلك أبعد مايكون عن رسالة الاسلام التي ماجاءت الا لخير الانسانية ، ونشر الاخوة والسلام بين الناس جميعاً[٧٦] . ويؤكد ذلك قول الله تبارك وتعالى : (لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ قد تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)[٧٧] .

ومن أجل تسليط الاضواء على الدور الذي لعبته خطب الجهاد في معارك الاسلام الاولى ، نبدأ أولاً بغزوات الرسول (ﷺ) ثم ننتقل بعد ذلك الى حروب الردّة .

١ ـ في غزوات الرسول (ﷺ)

وإلى جانب هذه الآيات وهذه الاحاديث التي أحالت الصحابة الى أبطال خُلقوا للجهاد في سبيل الله ، أبطال لايخشون الموت ولايرهبونه ، وقفت الخطابة في عصر صدر الاسلام تناصر المسلمين ، وتشُدُّ أزرهم ، وتحثُّهم على الجهاد حيثما كانوا ، فاحتضنها الاسلام وشجعها ، واتخذها الرسول (ﷺ) أداته في نشر دعوته ، واعلان مبادئه ، وعونه في استنهاض همم المسلمين ، وإرهاب المشركين ، وهذه الحقيقة

www.attaweel.com

تؤكدها خطب الرسول (ﷺ) وخطب اصحابه (رضوان الله عليهم) في ميادين الجهاد . فيوم تهيأ المسلمون لقتال المشركين ببدر الكبرى ، خطب النبيّ محمد (ﷺ) يومئذ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال وهو يامرهم ، ويُرغّبهم في الاجر :

« أمّا بعد ، فإنّي أحثكم على ماحثّكم الله عليه ، وأنهاكم عمّا نهاكم الله عنه ، فإنّ الله عظيمٌ شانه ، يامر بالحق ، ويُحبُّ الصّدق ، ويُعطي على الخير أهله ، على منازلهم عنده ، به يُذكرون ويه يتفاضلون ، وإنّكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق ، لايقبل الله فيه من أحدٍ إلّا ما ابتغى به وجْهه . وإنّ الصبر في مواطن البأس ممّا يُفرّج الله به الهمّ ، ويُنجّي به من الغَمّ ، وتُدركون به النجاة في الآخرة . فيكم نبيّ الله يُحذركم ويامركم ، فاستحيوا اليوم أن يطّلع النه عزّ وجل على شيء من أمركم يمقُتكم عليه ، فإنّ الله يقول : (لَمَقْتُ اللّهِ أكبَرُ مِن مَقْتِكُمْ أنْفُسَكُمْ)[٧٨] أنظروا الى الذي أمركم به من كتابه ، وأراكم من آياته ، وأعزّكم بعد ذلّةٍ ، فاستمسكوا به يرضَ ربُّكم في هذه المواطن أمراً ، تستوجبوا .. الذي وعدكم به من رحمته ومَغْفِرته ، فإنّ وعده حقٌّ وقولهُ صدقٌ ، وعقابهُ شديدٌ . وإنما أنا وأنتم بالله الحيّ القيّوم ، اليه ألجأنا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكلنا ، وإليه المصير ، يغفر الله لي وللمسلمين » .[٧٩]

ومضى رسول الله (ﷺ) حتى اذا كان دُوَيْن بدر ، أتاه الخبر بمسير قريش لقتاله ، فجمع أصحابه واستشارهم ، هل يقدم على حرب قريش ونزالها أو يحجم ؟ فقام أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) فقال وأحسن ، ثم قام عمر (رضي الله عنه فقال وأحسن ، ثم قال :

« يارسولَ اللّهِ ، إنّها قريش وعزّها ، واللّه ماذلّت منذ عزت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لاتسلم عزّها ابداً ، ولتقاتلنّك فاتّهب لذلك أهبته ، واعد عدّته »[٨٠] .

ثم قام المقدادين عمرو أحد المهاجرين ، فقال : « يارسول اللّه ، امض لما أراك اللّه ، فنحن معك ، والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : (اذْهَبْ أنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا ، إنّا هَهُنا قَاعِدُون)[٨١] . ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون ، فو الذي بعثك بالحقّ ، لو سرت بنا الى بَرْك الغِماد لجالدنا معك من دونه ، حتى تبْلُغه » فقال له رسولُ الله (ﷺ) خيراً ، ودعا له به .[٨٢]

وتمثلت الخطب بكثير من المعاني التي كانت تدور على ألسنة المجاهدين في ذلك اليوم ، وهم يعبّرون عن التزامهم بالدفاع عن الرسالة ، وتحقيق المطامح المشروعة التي جاءت بها ، مؤكدين صلابة العقيدة التي كانت تتجسّدُ في القول والفعل ، وفي استجابة الانصار لدعوة الرسول (ﷺ) مايشير الى هذا التوجه الصادق حين وقف سعد بن معاذ ، يبين ايمان الانسار ، او التفافهم حول قائدهم ونبيهم ، فقال :

« والله لكأنّك تريدنا يارسول الله ! قال : أجَلْ ، قال : فقد آمنّا بك وصدّقناك ، وشهدنا أنّ ماجئت به هو الحقّ ، وأعطيناك على ذلك عُهُودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت ، فو الذي بعثك بالحق ، ان استعرضت[٨٣] بنا هذا البحر فخضْتَه لخضناه معك ، ما تخلف منّا رجلٌ واحد ، ومانكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً ! إنا لَصُبُر عند الحرب ، صُدُق عند اللقاء ! لعل الله يريك منّا ماتقرُّ به عينُك ؛ فسرْ بنا على بركة الله »[٨٤] .

وسُرَّ الرسول بقوله ، وتوجه الى القوم ، فقال لهم : « سيروا على بركة اللّه وأبْشروا ، فإنّ قد وَعَدني إحدى الطائفتين ، واللّه لكاني الآن انظر إلى مصارع القوم »[٨٥] .

وسار رسول الله (ﷺ) مع جنده من المهاجرين والانصار حتى نزل بماء بدر ، وأقبلت قريش بصناديدها ورجالها في جيش كثيف يبلغ أضعاف جيش المسلمين ، والتقى الجمعان ، ونهض النبي (ﷺ) الى اصحابه يحرضهم ويحثهم ويستنهضهم قائلًا : « والّذي نَفْسُ مُحمدٍ بيده ، لايُقاتلُهم اليوم رَجُلٌ ، فيُقْتَلُ صابراً محتسباً ، مُقبلًا غير مُدْبِرٍ ، إلا أدْخَلَهُ اللّهُ الجنة »[٨٦] .

فاثارت هذه الكلمات حمية عمير بن الحمام الانصاري ، وكانت في يده تمرات ياكلهنّ ، فقال : « بَخٍ بَخٍ[٨٧] ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة ، إلا أن يقْتلني هؤلاء ! » ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتل[٨٨] وهو يقول :

رَكْضاً إلى الله بغيْرِ زادِ إلّا التُّقى وعَمَلِ المَعادِ
وَالصَّبْرِ في اللهِ على الجهادِ وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النَّفادِ
غَيْرُ التُّقَى والبرِّ والرَّشادِ[٨٩]

وهجم أصحاب رسول الله (ﷺ) على الفئة الضخمة الباغية ، يقتلونهم ، ويحتزون رؤوسهم ، وياسرونهم ، حتى ولّوا الادبار وهم صاغرون ، وقد قتل مَنْ قتل ببدْر من أشراف قريش ورؤسائهم[٩٠] ومضت فلول المشركين تئنُّ من هول المعركة ، وارتفع الصياح والعويل والنحيب في كل بيت ، وأجمعت قريش أن تعود لحرب محمد واصحابه ، ومازالت تعدّ لذلك ، حتى خرجت ونزلت بجوار أحد قرب المدينة[٩١] .

ولما علم الرسول (ﷺ) باجتماع قريش في أحد لقتاله ، جمع اصحابه واستشارهم في الخروج من المدينة لملاقات المشركين بعدما قصّ عليهم رؤيا رآها ، وفيها بقر تُذبح ، وكان

www.attaweel.com

رأيه ألّا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا ، فأبى قوم من الصحابة الا الخروج منهم حمزة بن عبدالمطلب ، وسعد بن عُبادة ، والنُعمان بن مالك بن ثَعْلَبَة ، وغيرهم . وقد وقف بعضهم خطيباً بين يدي رسول الله (ﷺ) ، ليعلن عن رغبته الملحّة في قتال المشركين لينال احدى الحسنيين ، فقال مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري :

« يارسول الله ، نحن والله بين إحدى الحُسنَيين ـ إما يُظفّرنا الله بهم فهذا الذي نريد ، فيُذلّهم الله لنا فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر ، فلا يبقى منهم إلّا الشريد ، والاخرى يارسول الله ، يرزقنا الله الشهادة ، والله يارسول الله ، ماأُبالي أيهما كان ، إنْ كلًا لفيه الخير »[٩٢] .

وخطب حمزة بن عبدالمطّلب (رضي الله عنه) فقال : « والذي أنزل عليك الكتاب ، لاأطعمُ اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارجاً من المدينة » . وكان يقال كان حمزة يوم الجمعة صائماً ، ويوم السبت صائماً ، فلاقاهم وهو صائم .[٩٣]

وخطب إياس بن أوس ابن عَتيك : « يارسول الله ، نحن بنو عبد الاشْهَل مِن البقر المُذبَّح ؛ نرجو يا رسول الله أن نُذبَّحَ في القوم ويُذبَّح فينا ، فنصير الى الجنّة ويصيرون إلى النار ، مع أنّي يا رسول الله لا أُحبّ أن ترجع قُرَيش إلى قومها فيقولون : حصرنا محمّداً في صياصي يَثْرِب وآطامها فيكون هذا جُرأة لقريش ، وقد وطنوا سمعنا فإذا لم نذب عن عرضنا لم نزرع ، وقد كنّا يا رسول الله في جاهليّتنا والعرب والعرب ياتوننا ، ولا يطمعون بهذا منّا حتى نخرج إليهم بأسيافنا حتى نذبهم عنا ؛ فنحن اليوم أحَق إذ أيّدنا الله بك ؛ وعرفنا مصيرنا ، لا نحصر أنفسنا في بيوتنا »[٩٤] .

وخطب آخرون غيرهم[٩٥] فخاف عليهم رسول الله (ﷺ) فلمّا أبَوا إلّا الخروج رسول الله (ﷺ) الجمعة بالمسلمين ، ثم وعظهم وأمرهم بالجِدّ والجهاد ، وأخبرهم أنّ لهم النصر ما صبروا .[٩٦]

وعندما تقابل الجمعان ، قام رسول الله (ﷺ) فخطب الناس فقال : « يا أيّ الناس ، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعـ التناهي عن مَحارمه ، ثم إنكم اليوم بمنزل أجْرٍ وذُخرٍ لِمَن ذكر ي عليه ثم وطّن نفسه له على الصّبر واليقين والجِدّ والنشاط ، فإنّ جهاد العدوّ شديدٌ ، شديد كرْبُه قليلٌ من يصبر عليه إلّا من عزم الله رُشْدَه ، فإنّ الله مع من أطاعه ، وإن الشيطان مع من عصاه ، فافتتحوا أعمالهم بالصّبر على الجهاد ، فالتمسوا بذلك ما وعدكم الله .. »[٩٧] وهي خطبة طويلة رائعة ، وقد اجتزأنا منها هذا المقطع على سبيل الاستشهاد بها .

ونشب القتال في ذلك اليوم ، وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار ، فانهزم اعداء الله وولّوا مدبرين . ولما رأى الرماة هزيمة الكفار نزلوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله بحفظه ، فجاز منه المشركون وأحاطوا بالمسلمين ، فاكرم الله من أكرم منهم بالشهادة وهم سبعون بيتهم حمزة بن عبد المطلب ، وخلص المشركون الى رسول الله فجرحوه وكسروا رباعيته ، وقد صرخ الشيطان بأعلى صوته بأن محمداً قد قتل . فاقبل ثابت بن الدحداحة يومئذ والمسلمون أوزاع قد سُقط في ايديهم ، فجعل يصيح :

« يا معشر الانصار ، إليّ ، إليّ ، أنا ثابت بن الدُحْداحة . إن كان محمّدٌ قد قُتل ، فإنّ الله حيّ لا يموت فقاتلوا عن دينكم ، فإنّ الله مُظْهِرُكم وناصركم »[٩٨]

فثَابتُ في خطبته الموجزة هذه عبّر عن رسوخ العقيدة الثابتة في قلبه وضميره ، واصراره على القتال دفاعاً عن دين الله حتى وإن قُتل الرسول (ﷺ) ، لانه مؤمن بان الله حي وغيره يموت ، وان الله سينصر المسلمين ويذل المشركين . فنهض اليه نفر من الانصار ، فجعل يحمل بمن معه من المسلمين ، فقاتلوا حتى قُتلوا ، وصبر الرسول (ﷺ) على الرغم من جراحه أصابت وجهه الكريم ، صبر مع صحابته حتى انقشعت الغمرة .[٩٩]

ولما فرغ الرسول (ﷺ) من عمرة القضاء وعاد الى المدينة ، بعث جيشاً مكوناً من ثلاثة آلاف لحرب الروم في الشام ، وجعل قيادته لزيد بن حارثة ، ثم قال : إن اصيب زيد فالقيادة لجعفر من ابي طالب ، فإن اصيب خلفه عبدالله بن رواحة . ومضوا حتى نزلوا معان ، فبلغهم ان هِرَقْل امبراطور بيزنطة نزل مدينة مآب من أرض البلقاء ، في مائة الف من الروم . فلما بلغ ذلك زيداً واصحابه أقاموا في معان يومين ينظرون في أمرهم . وقال نفر : نكتب الى رسول الله (ﷺ) ونخبره بعدد عدوّنا ، فإمّا أن يمدّنا برجال ، وإمّا أن يامرنا بامرٍ فنمضي له . ووقف عبدالله بن رواحه قبل بداية المعركة يشجّع المسلمين على الصبر والثبات . لِقلّتهم من عدد الروم فقال :

« والله ماكُنّا نُقاتل الناسَ بكثرة عَدَدٍ ، ولا بكثرة سلاح ، ولا بكثرة خيول ، إلّا بهذا الدّين الذي أكرمنا الله به . انطلقوا ! والله لقد رأيتُنا يومَ بدْرٍ مامعنا إلا فَرسان ، ويومَ أُحد فرسٌ واحدٌ ، وإنّما هي إحدى الحسنيين : إمّا ظهورٌ عليهم فذلك ماوَعَدَنا الله ووعدنا نبيُّنا ، وليس لوعده خُلْفٌ ، وإمّا الشهادة فَنَلحقُ بالأخوانِ نُرافقهم في الجنان »[١٠٠] .

فهزّت هذه الخطبة مشاعر المسلمين ، وزحفوا الى العدو ، وقد امتلأوا حماسة وحميّة ، وكل منهم يودّ لو لقي مصرعه حتى

www.attaweel.com

تكتب له الشهادة ، وهكذا تمضي الخطابة في غزوات الرسول (ﷺ) تحت المسلمين على حمل الرسالة والدفاع عنها ، حتى غدا الجهاد من ابرز موضوعاتها .

٢ . في حروب الرِدّة

واشتدت الامور ، وتعاظمت الخطوب ، بعد وفاة الرسول (ﷺ) إذ ارتدت اعداد كبيرة من قبائل العرب عن الاسلام ، وتعرّضت الرسالة الى خطر كبير كاد يودي بها ، لولا عناية الله وحفظه لها ، ووقفة الصحابة الابرار الذين ثبتوا على اسلامهم ، ودافعوا عنها بارواحهم واموالهم والسنتهم . وكان من بينهم اولئك المجاهدون الخطباء الذين واكبوا احداث الردة ، وشاركوا في معظم معاركها ، فقاتلوا المرتدين بسيوفهم ، وخطبوا المؤمنين على الصبر والثبات وجمع القلوب وتوحيد الصفوف على نصر الله . وكان على رأسهم الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الذي وقف يومذاك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال مخاطباً المسلمين :

« الحمد لله الذي هدى فكفى ، وأعطى فاغنى ، إن الله بعث محمداً (ﷺ) والعلم شريد ، والاسلام غريب طريد ، قد رث حبله ، وخلق عهده ، وضل أهله منه ، ومقت الله اهل الكتاب فلايعطيهم خيراً لخير عندهم ، ولايصرف عنهم شراً لشر عندهم ، قد غيروا كتابهم ، وألحقوا فيه مالَيس منه ، والعرب الامنون يحسبون أنهم في منعة من الله لايعبدونه ولايدعونه ، فاجهدهم عيشاً ، وأضلهم دينا ، في ظلف من الارض مع مافيه من السحاب ، فختمهم الله بمحمد ، وجعلهم الامة الوسطى ، نصرهم بمن اتبعهم ، ونصرهم على غيرهم ، حتى قبض الله نبيه (ﷺ) فركب الشيطان مركبه الذي أنزله عليه ، وأخذ بايديهم ، ويغى هلكتهم (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)[١٠٠] إن من حولكم من العرب متعوا شاتهم ويعيرهم ، ولم يكونوا في دينهم - وإن رجعوا إليه - أزهد منهم يومهم هذا ، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا ، على ماقد تقدم من بركة نبيكم (ﷺ) وقد وكلكم الى المولى الكافي ، الذي وجده ضالّا فهداه ، وعائلا فاغناه (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا)[١٠١] والله لاأدع ان أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده . ويوفي لنا عهده ، ويقتل من قتل منا شهيدا من اهل الجنة ، ويبقى من بقيَ منها خليفته وذريته في أرضه ، قضاء الله الحق ، وقوله الذي لاخلف له (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)[١٠٢] ثم نزل »[١٠٣]

فابو بكر (رضي الله عنه) في خطبته المذكورة آنفاً ذكر المسلمين بسالف عهدهم ، وفضل الله والاسلام والرسول عليهم ، ثم وضعهم امام واقع من الامر ، وهو أمر الله ، فاقسم أن يقاتل في هذا الامر الى أن ينجز الله وعده ، ويوفي عهده ، ومادام القتال في أمر الله ، وقد وعد ، فلاشك في الانجاز ، فالنصر واقع ، ومن يُقتل أو قُتِلَ من المسلمين فهو شهيد من أهل الجنّة ، ومن بقي منهم وعمل صالحاً ، فهو خليفة الله في أرضه . هذا وعده الحقُّ ، وقضاؤه المُبرم ، وحُكْمُهُ الذي لايتخلّف . وهكذا يكون الترغيب في الجهاد الذي دعا اليه الاسلام وحثّ عليه .[١٠٤]

وعندما أرتدت معظم القبائل العربية عن الاسلام ، حاول نفر منها أن يدعي النبوة ، فتبعه خلق كثير من مختلف القبائل ، من امثال مسيلمة الكذاب في بني حنيفة ، وطليحة الاسدي في بني أسد ، وسجاح التميمية في بني تميم . وقد امتنع هؤلاء المرتدون عن دفع الزكاة ، واجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة الاسدي ، وبعثوا وفوداً الى أبي بكر (رضي الله عنه) فقال : « لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه » فردّهم ، فرجعوا الى أقوامهم واخبروهم بصنيع الصدِّيق (رضي الله عنه) وحذّروهم عن قِلّةِ المسلمين بالمدينة ، واطمعوهم فيهم . وعلم ابو بكر (رضي الله عنه) بذلك فخطب المسلمين بمسجد المدينة يحثهم على قتالهم :

« إنَّ الارضَ كَافِرَةٌ »[١٠٥] وقد رأى وَفْدُهم منكم قِلّةً ، وإنّكم لاتَدْرُونَ أليلاً تُؤْتَوْن أم نهاراً ، وَادْنَاهم مِنْكم على مايريد ، وقد كان القوم يأمّلون أنْ نُقْبِلَ منهم ونُوادِعَهم ، وقد أبينا عليهم ، فاعِدّوا واستَعِدّوا »[١٠٦] .

وكانت هذه الخطبة إيذاناً بنشوب القتال مرة اخرى بين المسلمين والمشركين وهم سائر القبائل التي اعلنت بتمنّت وجبروت رِدّتها عن الاسلام ، فدارت معارك كثيرة شملت انحاء عديدة من الجزيرة العربية ، منها يوم ذي القصّة ، والبُطاح ، وجُوَاثا ، واليمامة ، وصنعاء ، وقد انتصر المسلمون في جميع هذه المعارك ، وتمكنوا من اخضاع المرتدين فيها الى كلمة الاسلام وسلطانه .[١٠٧]

على ان هذه الردّة وماصاحبها من حروب كان لها أثر واضح في الخطابة يومذاك . فقد هبّ الخطباء من كل حَدَبٍ وصوب يبينون خطل الردّة ، ويهاجمون المتنبئين ، ويحثّون المسلمين على الثبات وعدم الارتداد . ففي اليمامة دعا أثمامة بن أثال) قومه الى عدم اتباع مسيلمة وتصديقه ، فقال :

« إيّاكم وأمراً مُظْلِماً لانور فيهِ ، وإنَّهُ لَشَقَاءٌ كتبه الله - عزّ وجل - عَلى مَنْ أخذ بهِ مِنْكم ، وَبَلاءٌ عَلَى مَنْ لم يأخُذْ بهِ منكم

www.attaweel.com

يابني حنيفة »[١٠٨] .

ولما لم يستجب بنو حنيفة الى دعوة ثُمامة هذه ، واصرّوا على ارتدادهم توجّه اليهم خالد بن الوليد ، فنزل على كثيب يشرف على اليمامة ، فضرب به عسكره ، فاصطدم المسلمون والكفار ، فكانت جولة ، وانهزمت الاعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد ، وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله ، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ، ويقولون : ياأصحاب سورة البقرة ، بطل السحر اليوم ، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض الى أنصاف ساقيه ، وهو حامل لواء الانصار بعدما تحنّط وتكفّن ،[١٠٩] وخطب المسلمين فقال :

« يامعشر المسلمين ، أنتم حزبُ الله وهم أحزاب الشيطان ، والعزّة لله ولرسوله ولاحزابه ، أروني كما أريكم » .[١١٠]

وخطب زيد بن الخطاب في ذلك اليوم فقال محرّضاً المسلمين على القتال : « لاوالله لاأتكلّم اليومَ حتّى نهزمَهم أو ألقى الله فاكلّمه بُحجتي ا عضّوا على أضراسكم أيّها الناس ، واضربوا في عدوّكم ، وامضوا قدُماً »[١١١] .

وهذه الخطب على رغم قصرها ، وانها شبيهة بالارجاز التي يرتجزها المقاتلون في سوح الوغي ، استطاعت ان تلهب حماس المسلمين يومذاك ، فاصروا على جهاد المرتدين « فردّوهم الى مصافّهم حتى أعادوهم الى أبعد من الغاية التي حيزوا اليها من عسكرهم » .[١١٢]

وفي البحرين وقف العلاء بن الحضرمي خطيباً يحثّ المسلمين على مطاردة المرتدين الفارّين الى دارين ، فجمعهم وقال :

«إنّ الله قد جمع لكم أحزابَ الشياطين وشُرّدَ الحرب في هذا البحر ، قد أراكم من آياته في البّر لتعتبروا بها في البحر ، فانهضوا الى عدوّكم ، ثم استعرضوا البحر إليهم ، فإن الله قد جمعهم »[١١٣] .

فاثارتَ هذه الخطبة حميّة المسلمين ، فتناخوا فيما بينهم حتى اقتحموا البحر ، فاجازوا الخليج العربي بإذن الله يمشون على مثل زَمْلة مَيْثاء ، فوقها ماء يغمرُ أخفاف الإبل ، وإنّ مابين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفُن البحر في بعض الحالات ، فالتقوا بها ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وقهروا المرتدين واحتازوا غنائمهم ، ثم رجعوا ، فعبروا الى موضعهم الاول .[١١٤]

وهكذا كانت الخطابة تؤدي دورها الجهادي في معارك الاسلام الاولى ضد المشركين والمرتدين ، وتعبّر بصدق عن عظمة اولئك الرجال الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وجاهدوا في سبيله بالسنتهم ، فكانت خطبهم في ميادين الجهاد واناشيد نصر ، واهازيج فرح خالدة ، تغنى بها المجاهدون الخطباء ، وخلدها التاريخ بالرغم من ضياع الكثير منها ، وخلّد ابطالها وفرسانها ، فكانت بحق ملاحم بطولية خالدة .

المبحث الثاني

الجهاد في خطب الفتوحات الاسلامية

وبعد أن قضى الاسلام على حركة المرتدين ، واصبحت القبائل العربية كلها تدين بدين الاسلام ، انطلقت جحافل الفتح الاسلامية لتلبي نداء الواجب المقدس الذي كتبه الله لها خارج الجزيرة العربية ، قال تعالى : « انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُم فِي سَبِيلِ اللهِ »[١١٥] فاخذ سيول الجيوش الفاتحة تتدفق على العراق والشام ، وأخذ الجهاد يتجلى في أعظم معارضه وصوره ، في الرجال والنساء اللائي كن يشهدن المعارك محرّضات محمسات ، بينما كان الشعراء والخطباء الفرسان يدوّون كالنحل بأشعارهم وخطبهم الحماسية .[١١٦] وبغية تلمس دور الخطابة في الفتوحات الاسلامية ، يحسن بنا أن نعرض لهذا الدور في كل جبهة على حدة .

١ . في فتوحات الجبهة الشرقية

لقد دارت معارك ضارية على امتداد هذه الجبهة الطويلة ، شنها المسلمون على الاكاسرة ، فاستمد امراء الجيوش والقواد ورجال الحرب الخطابة ، يلهبون مشاعر الجند ويشعلون حماسهم ، ويمنونهم النصر العاجل ، والفوز الآجل .[١١٧] فخالدين الوليد بعد أن أمره الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) بالتوجه نحو العراق لقتال الفرس ، ارتفع صوته في ذلك اليوم ، فخطب في الناس يحضضهم على الجهاد في سبيل الله ، فقال :

« الحمدُ للهِ ، واللهُ أهلُهُ ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورَسُولُهُ ، أما بَعْدُ : فإنّ خليفةَ رسُولِ الله ـ ﷺ ـ كتبَ إلينا يَحضُّنا على طاعةِ ربِّنا ، وجهادِ عدونّا وعدوّ الله ، وبالجهادِ في سبيلِ الله أنجزَ الله دَعْوَتَنا ، وجمع كلمتنا وامنيتنا ، والحمدُ لله ربّ العالمين ، ألا واني خارج وممسكر وسائر ـ إنْ شاء الله ـ ومُعَجِّلٌ ، فمن أراد ثوابَ العاجِلِ والآجلِ فَلْيَنْكَمِش »[١١٨]

وتوجه خالد بن الوليد نحو العراق ، وخاض المسلمون بقيادته سلسلة من المعارك ، انتهت جميعها بانتصار المسلمين وهزيمة الفرس ، وعقب انتصارهم في وقعة الولجة وقف خالد بن الوليد في الناس خطيباً يحثهم على الجهاد ، وقد أشار في خطبته الى ثراء الأرض التي يقاتلون فيها ، فقال :

www.attaweel.com

« الا تَرَوْن الى الطِّعام كرفْع[١١٩] التراب ، وبالله لو لم يلزمنا الجهادُ في الله والدعاء الى الله عز وجل ولم يكن الا المعاش ، لكان الرأي ان نقارع على هذا الريف حتى نكونَ أولى به ، ونولِّي الجوعَ والإقلال مَن تولّاه ممن اثّاقل عمّا أنتم عليه »[١٢٠] .

وتتوقف عمليات خالد بن الوليد بعد وقعة الفراض ، إذ أمره الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) بالسير نحو بلاد الشام ليكون عوناً للمسلمين هناك[١٢١] ، فتولّى المثنى بن حارثة الشيباني قيادة جيش المسلمين ، وخاض معركة ضارية ضد الفرس في تلال بلابل ، وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون الى المدائن يقتلونهم ، وأقام المثنى بعد هذه المعركة ينتظر أن تاتيه الامدادات من ابي بكر (رضي الله عنه) لكن انتظاره طال ، وابطأ عليه رد الخليفة ، فخلّف على المسلمين (بشير بن الخصاصية) وخرج متوجهاً الى ابي بكر (رض) فقدم المدينة وقابل الخليفة الراشد وهو على فراش الموت ، واخبره بأن الفرصة مواتية لارسال جيش[١٢٢] كبير الى العراق ، فاهتم الخليفة برأي المثنى واقتنع به ، وقال : « عليٌّ بِعُمر » فجاءه فأوصاه أن يندب الناس مع المثنى ، فندب عمر (رضي الله عنه) الناس لحرب الفرس ، فتتابعوا فخطبهم ، فقال :

« إنَّ الحجاز ليس لكم إلّا على الدُّجْفة ، ولايقوى عليه أهلهِ إلّا بذلك ، أين الطُّرّاء المهاجرون عن موعود الله ! سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ؛ فإنه قال : (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّه)[١٢٣] والله مظهر دينه ، ومعزّ ناصره ، ومولي أهله مواريث الامم . أين عباد الله الصالحون ! »[١٢٤] .

ثم خطب المثنى فقال : « ياايها الناس ، لاينْعَظَمنَّ عليكم هذا الوجه ، فإنّا قد تبحبحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شقِيّ السواد ، وشاطرناهم ، ونلنا منهم ، واجترأ مَنْ قبلنا عليهم ، ولها ان شاء الله مابعدها »[١٢٥] .

وقد تركت هاتان الخطبتان تاثيراً كبيراً في نفوس المجاهدين يومذاك ، فتطوع منهم عدد كبير ، كان في مقدمتهم ابو عبيد بن مسعود الثقفي[١٢٦] .

وفي البويب تقابل المسلمون والفرس ، فوقف المثنى على الرايات راية راية ، يحضض المسلمين ، ويامرهم بأمره ، ويهزّهم باحسن مافيهم تحضيضاً لهم ، ولكلهم قال :

« إني لارجو الا تؤتي العربُ اليومَ من قِبَلكم ، والله مايُسرُّني اليوم لنفسي شيء وهو يسرُّني لعامتكم »[١٢٧] وقُتِل الفرس المشركون في تلك الوقعة شر قتله ، وتبعهم المسلمون الى الليل ، ومن الغد الى الليل ، ومال المثنى على الذين ارادوا ان يستقتلوا من منهزمة يوم الجسر ، فخاطبهم بقوله :

« اين المستبسل[١٢٨] واصحابه ، انتدبوا في آثار هؤلاء القوم الى المشيب ، وابلغوا من عدوّكم ماتغيظونهم به ، فهو خيرٌ لكم واعْظَمُ أجـراً (واسْتَغْفِروا الله إنَّ الله غَفُـورٌ رَحيم)[١٢٩] »[١٣٠] .

وانتدب المثنى الناس لملاحقة فلول الفرس المذعورة في تلك الوقعة الى المسيِّب ، فخطب جرير بن عبدالله في قومه بجيله يحثهم على ذلك فقال :

« يامعشر بَجيلة ، إنّكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لاحدٍ منهم في هذا الخُمسِ غداً من النَّفل مثل الذي لكم منه ، ولكم رُبُع خمسه نفلا من أمير المؤمنين ، فلا يكوننّ أحدٌ أسرعَ إلى هذا العدوّ ولا أشدّ عليه منكم للذي لكم منه ، ونيّة الى ماترجون ، فإنما تنتظرون إحدى الحُسْنَيَيْن : الشهادة والجنّة أو الغنيمة والجنّة »[١٣١] .

وبعد البويب قلق أهل فارس كثيراً ، وتذمّروا ، فما بعد بغداد وساباط وتكريت إلّا المدائن ، فشرع يزد جرد ملك الفرس يومذاك بتنظيم الجيش من جديد ، وتعيين قاده له ، وأمر باعلان النفير العام ، وارسال الجيوش الى العراق لمهاجمة المسلمين ، ولما علم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بامر الفرس واجتماعهم أخيراً على يزدجرد أعلن النفير العام في الجزيرة العربية استعداداً لليوم الفاصل (القادسية) وقال : « والله لاضربَنّ ملوك العجم بملوك العرب » ثم دعا المسلمين الى اختيار من يقودهم الى الجهاد والقتال لفتح العراق ، فاختاروا سعد بن ابي وقاص ، فاحضره عمر (رضي الله عنه) وعيّنه قائداً عاماً للعمليات الحربية بالعراق ، ووضع أمامه جملة من الوصايا ليفيد منها في مهمته الجديدة[١٣٢] .

وسار سعد بن ابي وقاص بالمسلمين الذين تطوعوا لقتال الفرس ، حتى نزل القادسية من أرض العراق . وعندما تقابل الجيشان . المشركون الفرس على شفر العتيق ، والمسلمون أمام قديس ، والخندق من ورائهم ، وقف سعد أمام جنده ليعظهم ، ويحثهم على الجهاد ، وقد أثار عزائمهم ، وألهب حماسهم بخطبة حماسية مؤثرة ، كان لها وقع كبير على المسلمين ، فارتفعت لذلك معنوياتهم ، وتشجعوا اكثر على القتال ، فحمدِ الله وأثنى عليه ، وقال :

« إنَّ الله هو الحقُّ لاشريك له في المُلكِ ، وليس لقوله خلْف ، قال الله جلَّ ثناؤه : (وَلَقَد كَتَبْنَا في الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكرِ أنَّ الارْضَ يَرِثُها عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[٢٢م١] إن هذا ميراثكم وموعود ربّكم ، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حِجَج ، فانتم تطعمون منها ، وتاكلون منها ، وتقتلون أهلها ، وتجْبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الايّام منكم ، وقد جاءكم منهم

www.attaweel.com

هذا الجمع ، وأنتم وجوهُ العرب وأعيانُهم ، وخيار كلّ قبيلة ، وعزُّ من وراءكم ، فإن تزْهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جَمَعَ الله لكن الدُّنيا والآخرة ، ولايقرب ذلك أحداً إلى أجلهِ ، وإنْ تفشلوا وتُهنوا وتضعفوا تذهب ريحُكم ، وتُوبِقوا آخرتكم » .[١٢٤]

والتقى الجيشان في حرب ضروس استمرت أربعة أيام وثلاث ليالي ، متصلة الحرب حامية الوطيس ، وقد أدّت الخطابة دورها في هذه المعركة ، فلم يكن القتال يبدأ قبل أن يمر الخطباء والشعراء بين الصفوف يُرغّبون الناس ، ويقدحون عزمهم ، فينشب أهل الرأي والنجدة القتال ، بينما يشعل الخطباء والشعراء أوار الحماس[١٢٥] .

ففي يوم أرمات ـ وهو اليوم الأول من معركة القادسية ـ أقبل سعد يتخلل الصفوف ويقول :

« أيُّها الناس هذا يوم تجلّى فيه الجليل ، ونزّل فيه النصر جبريل ، انكروا قصُورَ الجنّةِ وما أعدَّ اللّهُ فيها من المنّة ، واعلموا أن يومكم هذا يوم عظيم ، لايقتل فيه الا كُلّ كريم يتكرم بنفسه في مرضاة ربه ، أما والله أنّ أبواب السموات فتحت ، والجنّة لكم أزلفت ، والنارَ أحميت ، وأعمالكم الصالحة إليه رُفعت ، ثم تلا (إليْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطّيبُ ، والعمل الصالح يرفَعُه)[١٢٦] وان الله قد جعل الصبر بمنزلةِ الرأس من الجسد ، وماتنتظرون من الصبر إلّا أحدَ الحسنيين ، إما فرجاً عاجلًا او خيراً آجلًا ، والصّبرُ يدعو الى الطّاعةِ ، والجزعُ يدعو الى المعصيةِ » .[١٢٧]

فحرّكت هذه الخطبة شعور المسلمين ، وحفزتهم على الجهاد ، فبرز أهل النجدات فانشبوا القتال ، وأندفع الامراء في خُطبهم ، يحضّون المسلمين على الصبر في الجهاد ، وأن يكونوا كاشوبِ الغِاب ، وأن يُسارعُوا الى مَغْفِرةٍ من ربِّهم ، وجنّةٍ عَرْضُها السّمواتُ والارض ، أعِدّت لِلْمُتّقِين . فخطب في ذلك اليوم كل من : عاصم بن عمرو التميمي ، وقيس بن هُبَيْرة الاسَديّ ، ونُشر بن أبي رُهم الجُهَنيّ ، وربيع بن البلاد السعديّ ، ورِبْعيّ بن عامر ، وطُليحة بن خُوَيلد الاسدي ، والاشْعثُ بن قيس .[١٢٨]

واستمر القتال في يو أرمات حتى غروب الشمس ، وتمضي الخطابة في اذكاء جذوة الحماس ، وتحرّض المسلمين على القتال طيلة أيام القادسية . ففي يوم عماس ـ اليوم الثالث من المعركة ـ شرع قادة الجيش الاسلامي كعادتهم يشجعون جندهم على الجهاد بأروع الخطب ، فقام قيس بن المكشوح المراديّ في المجردة ، فخطب فيمن يليه ، فقال :

« يامعشر العرب ، إنّ الله قد منّ عليكم بالإسلام ، وأكرمكم بمحمدٍ ﷺ ، فاصبحتم بنعمة الله إخواناً . نَعْوَتُكم واحدة ، وأمركم واحد ، بعد إذ أنتم يعدوُ بعضكم على بعض عَدْ الأسد ، ويختطفُ بعضكم بعضاً اختطاف الذئاب ، فانصروا الله ينصركم ، وتنجّزوا من الله فتح فارس ، فإنّ إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام ، وانتشال القصور الحُمر ، والحصون الحُمر »[١٢٩] .

وتعالت اصوات القادة في ليلة الهرير من يوم عماس ، وكانت خطبهم في تلك الليلة قد فعلت فعلها في إثارة حماس المقاتلين ، وأثّرت بوضوح السُبلَ الكفيلة لتحقيق النصر ، فخطب نُريد بن كعب النّخعيّ ، وكان معه لواء النّخع ، فقال :

« إنّ المسلمين تهيّئوا للمزاحفة ، فاسبقوا المسلمين الليلة الى الله والجهاد ، فإنه لايَسبق الليلةَ أحدٌ إلّا كان ثوابه على قدر سَبْقه ، نافسوهم في الشهادة ، وطيبوا بالموت نفساً ، فإنه أنجى من الموت ، إن كنتم تريدون الحياة ، وإلّا فالآخرة ماأردتم »[١٣٠]

وقَفَلَ الاشْعث بن قيس ، وطُليحة الاسدي ، وغالب بن عبدالله اللّيثيّ ، وأهل النّجدات من جميع القبائل مثل ذلك[١٣١] ، فتصاعد حماس المسلمين ، وارتفعت معنوياتهم ، وقاتلوا الفرس بكل قوة ، وبقي القتال مستمراً حتى صباح اليوم الرابع ، وهو يوم القادسية ، الذي قتل فيه رستم ، وهُزم جيشه شرّ هزيمة .[١٣٢]

واستمرت الخطابة تجوب ميادين الجهاد في جبهة العراق ، فارتفع صوتها على لسان سعد بن ابي وقاص في بهرسير ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وجرير بن عبدالله البجلي ، وهاشم بن عتبة ، والقعقاع بن عمرو التميمي في وقعة جلولاء .[١٣٣]

وتواصل جحافل العقيدة الاسلامية انطلاقتها في جبهة العراق من أجل نشر رسالة العدل والحق حتى تدخل بلاد فارس ، فتخوض معارك ضارية مع الفرس المشركين في عُقْر دارهم ، وكانت الخطابة تنتقل مع السيف من خندق الى خندق ، تحث المؤمنين وترهب المشركين أعداء الله ، فيروى ان النعمان بن مُقرّن وقف على الرايات في يوم نهاوند وخطب المسلمين ، فقال بعد أن حمد الله واثنى عليه :

« قد علمتم ماأعزّكم الله به من هذا الدين ، وما وعدكم من الظهور ، وقد أنجز لكم فَوادِيَ ماوعدكم وصدوَه ، وإنما بقيت أعجازُه وأكارعه ، والله منجزٌ وعده ، ومتبعٌ آخر ذلك أوّله ، واذكروا مامضى إذ كنتم أذلّة ، وما استقبلتم من هذا الامر وانتم اعزّة ، فانتم اليوم عبادُ الله حقّاً واولياؤه ، وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة ، والذي لهم في ظَفَركم وعزّكم ، والذي عليهم في[١٣٤] هزيمتكم وذلّكم ، وقد ترون مَنْ أنتم بإزائه من عدوّكم ، وما أخطرتم وما أخطروا لكم ، فاما ماأخطروا لكم

www.attaweel.com

فهذه الرّتة[١١٥] وماترون من هذا السواد ، وأما ماأخطرتم لهم فدينكم ونَهْضتكم ، ولاسواءَ ماأخطرتم وماأخطروا . فلايكونَنّ على دنياهم أحمى منكم على دينكم ، واتقى الله عبدٌ صدق الله ، وأبلى نفسه فاحسن البلاء ، فإنكم بين خيرين منتظرينَ ، إحدى الحسنيين ، من بين شهيد حيّ مرزوق ، أو فتح قريب وظفر يسير ، فكفى كلُّ رجل مايليه ، ولم يكلْ قِرْنَه إلى أخيه ، فيجتمع عليه قِرْنه وقِرْن نفسه ، ذلك من الملازمة ، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه ، فكلُّ رجل منكم مسلّط على مايليه ، فإذا قضيت أمري فاشتعِدوا فإنيَ مكبّرٌ ثلاثاً ، فإذا كبّرت التكبيرة الاولى فليتهيّأ مَنْ لم يكن تهيّأ ، فإذا كبّرت الثانية فليشدّ عليه سلاحه ، وليتاهب للنهوض ، فإذا كبّرت الثالثة ، فإني حامل إن شاء الله فاحمِلوا معاً ، اللهم اعزّ دينَك ، وانصر عبادَك ، واجعل النعمانَ أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك »[١١٦] .

وكان النعمان اول شهيد في نهاوند . ويمضي الجيش العربي الاسلامي بعد هذه الوقعة مُيمِّماً بلاد فارس ، ويحطم كل مقاومة تلقاه في خراسان واذربيجان وارمينية . وفي كل المدن الفارسية الاخرى ، حتى يصل الى حدود الصين ، وكانت الخطابة مرافقةً لجميع الاحداث ، ومناصرةً للسيف العربي الاسلامي في كل الوقائع .

٢ - في فتوحات الجبهة الغربية

وفي الجبهة الغربية - جبهة الشام وشمال افريقية - سحق العرب في عهد أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) الروم سحقاً ذريعاً اضطرهم الى ان يرفعوا ايديهم عن الشام ومصر ، وأخذوا يرفعونها عن افريقية مكرهين مهزومين مقهورين ، حتى إذا ولي الامويون تقدموا إلى المحيط الاطلسي وعبروا المضيق الى إسبانيا حيث صهلت خيولهم فرسانهم على مشارفها الشمالية . وكان طبيعياً أن يرتفع صوت الخطابة في هذه الفتوحات التي كلفت الجيوش العربية خطوباً شداداً وأهوالاً من المعارك والقتال والصراع والنزال ، وفي كل معركة وكل فتح تتجلى بطولتهم ، وتتجلى امجادهم الحربية ، ويتجلى معها ما نظموه من أناشيد حماسية شعراً كان ام خطابة[١١٧] .

فمنذ اللحظة الاولى التي عزم فيها ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) على توجيه الجيوش لفتح الشام ، جمع ابو بكر (رضي الله عنه) اصحاب رسول الله (ﷺ) في المسجد ، وقام فيهم خطيباً يستشيرهم في ذلك ، ويحثّهم على تنفيذ وصية الرسول (ﷺ) له قبل وفاته ، فحمد الله واثنى عليه ، وصلى على رسوله ، ثم قال :

« يا أيُها الناس رحمكم الله تعالى ، اعْلَموا أنّ الله فضّلكم بالإسلام ، وجَعَلكم من أمّةِ مُحمّدٍ عليه السلام ، وزادكم إيماناً ويقينا ، ونَصركم نَصْراً مُبينا ، وقال فيكم : (اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكم وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُم الإِسْلَامَ دِيناً »[١١٨] واعلموا أن رسول الله (ﷺ) كان عول أن يصرف همته الى الشام ، فقبضه الله واختار له ما لديه إلا وإني عازم أن أُوجه ابطال المسلمين الى الشام باهليهم ومالهم ، فإن رسول الله (ﷺ) نباني بذلك قبل موته ، وقال رويت لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك امتي ما رُوِيَ لي منها ، فما قولكم في ذلك ؟ فقالوا : يا خليفة رسول الله مرنا بامْرِك ، ووجهنا حيث شئت فان الله تعالى فرض علينا طاعتك ، فقال تعالى : (يا أيُها الذينَ آمنوا أَطِيعوا الرَّسولَ وأولي الأمرِ منكم)[١١٩] .

ومن هنا تشكلت ملامح فكرة فتح بلاد الشام وفتح ديارها للاسلام والمسلمين ، وكانت امتداداً لاول صدام جرى بين العرب والروم في عهد النبي (ﷺ) . وقد استجاب الصحابة الكرام لما دعا إليه ولي أمرهم طاعة لله في خليفة رسوله ، ففرح ابو بكر وشرع في كتابة الكتب الى ملوك اليمن وأهل مكة يدعوهم فيها الى الجهاد لفتح بلاد الشام وانتزاعها من أيدي الكفار والطغاة .[١٢٠]

ولما تكاملت الجيوش واقامت مجتمعة في المدينة عقد ابو بكر الرايات وأمر القادة ، ثم ذكرهم ، وأوصاهم وودعهم . فانطلق يزيد بن ابي سفيان في ألف فارس حتى نزل الجابية ، ولما تسربت اخبار المسلمين الى هرقل ، جهز جيشاً من ثمانية آلاف فارس ليردّ جيش يزيد عن سبيله . وقبل ان يقع الاشتباك بين الجيشين ، خطب يزيد أصحابه الالف يحرضهم على الجهاد ويتلو عليهم آيات النصر ، فقال :

« إنّ الله وعدكم بالنصر وأيّدكم بالملائكة ، وقالَ الله تعالى في كتابه العزيز الحكيم : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)[١٢١] وقد قال (ﷺ) : (الجَنّةُ تَحْت ظلالِ السُيوُفِ)[١٢٢] وانتم اول جند دخل الشام وتوجه لقتال بني الاصفر ، كالكم بجنود الشام ، وإياكم ان تطمعوا العدو فيكم ، وانصروا الله ينصركم »[١٢٣] .

فاهاجت هذه الخطبة مشاعر المسلمين المجاهدين ، ودفعتهم الى اخلاص النية في جهاد العدو ، واسترخاص الارواح في سبيل الله . فوقع بين الطرفين قتال عنيف ، خرج منه المسلمون ظاهرين منتصرين ، وولى الروم الادبار ، وركنوا الى الفرار .[١٢٤]

www.attaweel.com

وفي بصري رجمت الروم الى عددها وعديدها ، وتظاهروا بالدروع ، وقادوا الجنائب ، وتهيئوا للحملة ، فلما رأى شرحبيل بن حسنة ذلك خطب اصحابه يعظهم ، ويحثهم على الجهاد فقال :

« اعلموا رحمكم الله ان رسول الله ﷺ قال : (الجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ)[١٥٩] وأحب ماقرب الى الله قطرة دم في سبيل الله ، ودمعةٌ جرت في جوف الليل من خشية الله تعالى : ﴿ ... يُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ ، ولاتَمُوتُنَّ إلَّا وأنْتُم مُسْلِمُونَ)[١٦٠] »[١٦١] .

وحمل شرحبيل وحمل معه المسلمون على جيش الروم ، واقبل خالد بن الوليد بجماعة من أهل العراق مدداً لشرحبيل ، فاعادا ترتيب الصفوف ، ثم كبّر المسلمون وهلّلوا للنصر باهازيجهم وخطبهم المدوّية ، حتى كتب الله لهم النصر ، وهزمت الروم شرّ هزيمة ، ودخل المسلمون مدينة بصرى ، فكانت أول مدينة فتحت بالشام[١٦٢] .

ومن بصرى واصلت طلائع الفتح الاسلامي زحفها المقدس نحو دمشق ، وخلال هذا الزحف ، خاضت سلسلة من المعارك الضارية ضد الروم[١٦٣] ، كان من ابرزها معركة اليرموك الكبرى التي انكسرت الروم فيها انكساراً عظيماً .[١٦٤]

وفي هذه المعركة الخالدة كانت الخطابة الجهادية تآزر السيف الاسلامي من موضع الى موضع ، لتثبت أقدام المجاهدين ، وتصبّرهم على القتال على نحو مافعله ابو عبيدة عامر بن الجراح عندما وقف خطيباً امام الصفوف محرّضاً المقاتلين على اخلاص النيّة في الجهاد ، فقال :

« إن تنصروا الله ينصركم ويُثبت أقدامك ، والزموا الصبر ، فإنّ الصبر منجاةٌ من الكرب ، ومرضاةٌ للربّ ، ومعمعةٌ للعدو ، فلاتزايلوا صفوفكم ، ولاتنفضوا نسبتكم ، ولاتخطوا خطوة إلّا وأنتم تذكرون الله . ولاتبدأ وهم بالقتال حتى يبدأوكم ، واشرعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزموا الصمت إلّا من ذكر الله ، ولاتحدّثوا أحداً حتى آمركم »[١٦٥] .

وخطب بالناس عمرو بن العاص وطمأنهم بقوله : « ايها المسلمون غضوا الأبصار ، واجثوا على الركب ، واشرعوا الرماح ، فإذا حملوا عليكم ، فامهلوهم حتى اذا ركبوا أطراف الاسنة ، فثبوا إليهم وثبة الأسد ، فو الذي يرضى الصدق ، ويُثيب عليه ، ويمقت الكذب ، ويجزي بالاحسان احسانا ، لقد سمعت ان المسلمين سيفتحونا كِفْراً كِفْرا ، وقصْراً قصْراً ، فلايهولنّكم جموعهم ولا عددهم ، فإنكم لو صدقتموهم الشدّ تطايروا تطاير أولاد الخجَل[١٦٦] »[١٦٧] ووعظهم أبو سفيان فقال : « يامعشر المسلمين ، انتم العرب وقد اصبحتم في دار العجم ، منقطعين على الاهل نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين ، وقد والله اصبحتم بإزاء عدد كثير عدده ، شديد عليكم حنقه ، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم ، والله لاينجيكم من هؤلاء القوم ، ولايبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء ، والصبر في المواطن المكروهة ، ألا وإنها سنّة لازمة ، فامتنعوا بسيوفكم ، وتعاونوا ولتكن هي الحصون »[١٦٨] .

وحملت الروم في ذلك اليوم حملةً منكرة ، فصبر لها المسلمون صبر الكرام ، وقاتلوا قتالًا شديداً ، وثبتوا ثباتاً حسناً ، وابتدر عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وهو المقدم على زبيد والامير عليهم ، وهم يعظمونه لما سبق من شجاعته في الجاهلية ، وكان يوم اليرموك قد مرّ له من العمر مائة وعشرون سنة الى أن همته الشجاعة ، فلما نظر الى قومه وقد انكشفوا صاح في قومه :

« ياآل زبيد ، تفرون من اعداء وتفزعون من شرب كاس الردى ، أترضون لانفسكم بالعار والمذلة ، فما هذا الانزعاج من كلاب الاعلاج ، أما علمتم أن الله مطلع عليكم وعلى المجاهدين والصابرين ، فإذا نظر اليهم وقد لزم الصبر ثبتوا لقضائه أمدهم بصبره ، فاين تهربون من الجنة ، أرضيتم بالعار ودخول النار وغضب الجبار »[١٦٩]

فلما سمعت زبيد كلام سيدهم عمرو بن معد يكرب رجعوا اليه وعطفوا عليه عطفة الابل على اولادها ، فاجتمعوا حوله وهم زهاء من خمسمائة فارس وراجل ، وشدوا على القوم شدة واحدة ، وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان وحملوا حملة صعبة ، فازالوا الروم عن اماكنهم .[١٧٠]

ولما رأى خالد بن الوليد أن جموع الروم بدات تتقهقر أمام ضربات المسلمين الموجعة ، شرع يحث المجاهدين للانقضاض على الاعداء ، والرّد على كسرتهم ، فقال :

« ياأهل الاسلام والايمان ، وياحملة القرآن ، وياأصحاب محمد (ﷺ) قد تبينت في الروم الكسرة العظيمة ، ولم يبق عند القوم من الجلد على القتال إلا ما رأيتم ، وقد كسر الله حدتهم ، فردوا على الكسرة ، وشدّوا عليهم الكرّة رحمكم الله ، فو الذي نفس خالد بيده ، إني لارجو ان يمنحكم الله اكتافهم »[١٧١] .

واستمرت معركة اليرموك أربعة أيام على امتداد الأرض والزمن ، شديدة عنيفة يعتور الجيشان فيها القتل والضرب والطعن . فقتل في يومها الرابع الذي يدعى يوم التمويز ـ لكثرة من اصيبت عينه فيه ـ اربعون الفا من الروم او يزيدون على ماذكر المؤرخون .[١٧٢]

وانطلقت جيوش المسلمين بعد هذا الانتصار العظيم نحو

www.attaweel.com

المدن العربية الاخرى لتردّها الى الوطن الام . ففتحت فحل والرقة واجنادين وبيت المقدس ودمشق وحمص وحماة وحلب .[170] وبعد ذلك واصل المسلمون زحفهم الجهادي ففتحوا مصر بقيادة عمرو بن العاص ، وخاضوا سلسلة من الوقائع العنيفة في بابليون وام دنين وعين شمس والكريون والاسكندرية .[171]

وتستمر طلائع الفتح الاسلامي في تقدُّمها ، حتى تدخل شمال افريقية . بعد معارك طويلة دامت اكثر من سبعين عاماً ، ابتداءً من فتح طرابلس سنة ٢ هـ بقيادة عمرو بن العاص ،[172] حتى تم فتح شمال افريقية بقيادة موسى بن نصير ، وفتح الاندلس بقيادة طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ .[173]

ومما تقدم يتبين لنا ان خطب الجهاد في فتوحات الجبهة الغربية كانت أقل من حيث العدد من مثيلاتها في فتوحات الجبهة الشرقية ، ولكن على الرغم من ذلك لم يصل إلينا من جملة خطب الفتوحات الاسلامية مايتناسب وضخامة وقائع هذه الفتوح ، ولعل سبب ذلك أن معظم ماقيل قد ضاع ، وذهبت به عوادي الزمن ؛ إذ لايمكننا ان نتصور ان تحدث هذه الفتوح ، وأن تقع هذه الوقائع ، ولا يكون لها أثر في الخطابة .[174]

المبحث الثالث

الخصائص الفنية لخطب الجهاد

تحدثنا في الصفحات السابقة عن الدور الجهادي للخطابة الاسلامية في غزوات الرسول (ﷺ) وفي حروب الردة ، وفي الفتوحات الاسلامية . وأوضحنا كيف أنها استطاعت أن تثير حماس المسلمين وتشجعهم على الجهاد في سبيل الله . وبقي بعد هذا أن نقول : إنها امتازت بخصائص فنية مشتركة أسهمت بشكل واضح وفعال في التأثير على معنويات المجاهدين وهم يخوضون غمار المعارك ، فكانت تدفعهم هي الاخرى الى الاستبسال في القتال للظفر بإحدى الحسنيين : إما الشهادة وإما النصر . ويمكن اجمال اهم هذه الخصائص بالآتي :

١ ـ الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية :

لقد كان الاستشهاد بالآيات القرآنية من ابرز مميزات خطب الجهاد في عصر صدر الاسلام ، ويرجع ذلك الى شدة تأثر الخطباء بالقرآن الكريم ، وحفظهم للكثير من آياته ، « فاخذوا من معانيه ، واقتبسوا الكثير من آياته ، وخاصة في المواقف التي تزيد المعنى وضوحاً ، وتضاعف من وقعه وبيانه ، فيكون تأثيره في السامعين أقوى وأشد »[175] . ومن الامثلة على استشهادهم بالقرآن الكريم :

قوله تعالى : (لَمَقْتُ اللّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ)[176] في خطبة الرسول الكريم (ﷺ) يوم بدر .[177]

وقوله تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَائِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ)[178] في خطبة أبي بكر (رضي الله عنه) بعد وفاة الرسول (ﷺ) .[179]

وقوله تعالى : (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)[180] في خطبة عمر (رضي الله عنه) يوم ندب الناس لقتال الفرس[181] .

وقوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ)[182] في خطبة ابي بكر (رضي الله عنه) أيضاً يوم عقد العزم على توجيه الجيوش لفتح الشام[183] .

وقوله تعالى : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[184] في خطبة سعد بن ابي وقاص في يوم القادسية .[185]

وقوله تعالى : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)[186] في خطبة سعد أيضاً يوم أرماث[187] .

وقوله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاتَفَرَّقُوا) في خطبة عمرو بن معد يكرب في وقعة جلولاء[188] .

وقوله تعالى : (وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)[189] في خطبة يزيد بن ابي سفيان في وقعة الجابية[190] وفي خطبة خالد بن الوليد في معركة اجنادين[191] ، وفي خطبة عبدالله بن جعفر في غزوة المهدية .[192]

ومثلما استشهد الخطباء بالقرآن الكريم ، استشهدوا بالحديث النبوي الشريف ، مثل قوله ﷺ : (الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ) الذي ورد في خطبة يزيد بن ابي سفيان المذكورة آنفاً ، وخطبة شرحبيل بن حسنة في غزوة بصرى[193] ، وخطبة عبدالله بن جعفر في معركة سوسة[194] وقوله (ﷺ) : (سَيُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِي كُنُوزُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالتَّمَامُ عَلَى اللّهِ) الذي ورد في خطبة سعد بن ابي وقاص في يوم كوثى بالعراق .[195]

٢ . الالفاظ والمعاني :

لقد جاءت الفاظ خطب الجهاد صافية نقية ، وسهلة عذبة ، وخالية من الغريب المستكره ، والساقط الرديء ، وتمتاز عباراتها بالجزالة والقوة والوضوح ، ويعود الفضل في ذلك الى

www.attaweel.com

القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، اللّذين أثّرا فيها تاثيراً كبيراً ، فحفلت الخطابة منهما بالالفاظ والمصطلحات الآتية :

الحَمد للّه رب العالمين ، أشهد ، الله لا إله إلا هو ، رسول الله ، الجهاد في سبيل الله ، الحيّ ، القيّوم ، إليه المصير ، المسلمون ، يغفر الله ، الرحمة ، المغفرة ، آمنا ، شهدنا ، الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، إحدى الحسنيين ، الجنة ، الشهادة ، الاستشهاد في سبيل الله ، الشهيد ، الآخرة ، حزب الله ، الدعاء الى الله ، عباد الله الصالحين ، استغفر الله ، إن الله غفور رحيم ، امير المؤمنين ، جبريل ، اطيعوا الله ، اطيعوا الرسول ، آمنوا ، الانصار ، المهاجرون ، الجبار ، الايمان ، الله مظهر دينه ، ممز ناصره ، فلاتموتن الا وانتم مسلمون ، انصرو الله ينصركم ، أهل الاسلام[١٩٧] ، وغير ذلك من الالفاظ والمصطلحات التي زخرت بها خطب الجهاد .

وحفلت خطب الجهاد ايضاً بالفاظ حماسية قوية كلها لها وقع كبير في نفوس المقاتلين مثل : قاتلوهم ، ثبّتوا الطعان ، جاهدوا ، شدّوا عليهم باسم الله ، صابروهم ، تترّسوا ، الزموا الصبر ، احملوا عليهم[١٩٨] .

أما المعاني فكانت واضحة ودقيقة ، وفيها ابتكار وجدة ، واتساع وإحاطة وعمق وترتيب ،[١٩٩] وقد استمدت الخطابة هذه الصفات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

نخلص من ذلك الى أن اختيار الخطباء للالفاظ الجزلة والمعاني المألوفة والعبارات الموسيقية لخطبهم ، كان له الاثر الكبير في تأجيج حماسة الجند ، ووقعه البليغ في نفوسهم ، مما دفعهم الى الاستبسال في مقارعة خصومهم ، فكان اثره بحق صدى الغيث في التربة الكريمة .[٢٠٠]

٣ . الايجاز والاطناب :

إنّ مسالة الإيجاز والاطناب في الخطابة الجهادية يحددها الظرف والمناسبة التي تقال فيها الخطابة ، فمن خلال دراستنا لهذا النوع من الخطب وجدنا أن الخطب التي كانت تقال في جموع المسلمين بعيداً عن ساحات القتال ، بعضها يمتاز بالإطناب ، إذ أن الوقت يسمح بإنشاء مثل هذه الخطب ، كخطبة الرسول (ﷺ) بالمدينة قبل وقعة بدر[٢٠١] ، وخطبة ابي بكر (رضي الله عنه) بالمدينة ايضاً بعد وفاة الرسول (ﷺ)[٢٠٢] . وبعضها الاخر يمتاز بالإيجاز ؛ إذ أن الوقت قصير وجموع المسلمين في حالة تهيؤ واستعداد للحركة كخطبة عمر (رضي الله عنه) يوم ندب الناس في المدينة لحرب الفرس ، وخطبة خالد بن الوليد عندما أمره ابو بكر (رضي الله عنه) بالتوجه الى العراق لقتال الفرس .[٢٠٤] وخطبة عمر (رضي الله عنه) وخطبة المقداد بن عمرو ، وخطبة سعد بن معاذ عند اجتماع الرسول (ﷺ) واصحابه نُوَين بدر .[٢٠٥]

أما الخطب التي كانت تقال عند تهيؤ الخصمان استعداداً للمنازلة ، وفي أثناء احتدام القتال ، وبعد انتهاء المعركة ، فمعظمها كانت موجزة ومشتملة على عبارات حماسية قوية ومؤثرة ، ونها ايقاع موسيقى يهز الاسماع ويشدها ، ومن الامثلة على ذلك : خطبة ثابت ابن الدحداحة في اثناء القتال ببدر[٢٠٦] ، وخطبة ثابت بن قيس في ساعات الاشتبال ضد المرتدين باليمامة[٢٠٧] وخطبة المثنى بن حارثة الشيباني عندما وقف على الرايات في يوم البويب ،[٢٠٨] وخطبة خالد بن الوليد بعد أنتصاره على الفرس في وقعة الولجة[٢٠٩] ، وخطبة سعد بن ابي وقاص عندما تخلل الصفوف في يوم أرماث بالقادسية[٢١٠] ، وخطبة خالد بن الوليد ايضاً عندما رتب الصفوف في وقعة اجنادين[٢١١] ، وخُطب الاشعث بن قيس وغالب بن عبدالله الليثي وأهل النجدات من جميع القبائل في ليلة الهرير ،[٢١٢] وخطب أبو عبيدة الجراح وعمرو بن العاص وأبو سفيان وعمرو بن معد يكرب الزبيدي عند نشوب القتال بين المسلمين والروم في معركة اليرموك[٢١٣] على اننا وجدنا بعض الخطب قد امتازت بالطول ، مثل خطبة الرسول (ﷺ) عندما تهيا المسلمون لقتال المشركين في يوم أحد[٢١٤] وخطبة النعمان بن مقرّن حين وقف على الرايات في وقعة نهاوند .[٢١٥]

٤ . الاستهلال والختام :

لقد أخبرنا الجاحظ ان أغلب الخطب الاسلامية كانت تبدأ بالحمد والثناء ، وأول من قام بذلك الرسول (ﷺ) فاصبح تقليداً عرفه المسلمون واتبعوه في زمنه وبعد وفاته ، واطلقوا على كل خطبة خالية من الحمد لله والصلاة على نبيّه اسم « البتراء » .[٢١٦]

ولو تاملنا النظر فيما وصل إلينا من خطب الجهاد وجدنا أن اكثرها تبدأ بقولهم : احمدوا الله ، يارسول الله ، والله ، والذي أنزل عليه الكتاب ، يامعشر الانصار ، ياقوم ، إن الأرض ، إياكم ، يامعشر المسلمين ، ياايها الناس ، ألا ، إني ، يامعشر بجيلة ، إن الله هو الحق ، يامعشر العرب ، إن المسلمين ، يامعشر كنده ، يامعشر معد ، اعلموا ، إن انتصروا ، ايها المسلمون ، ياآل زيد ، ياأهل الاسلام ، اين ، إن هذه البلاد ، ياعشيرتاه ، إن عدوكم ، ياهؤلاء ، إن هذا المنزل ، إنا ،[٢١٧] ياآل هاشم ، ياآل مخزوم ، ياآل حمير ، ياآل أمية ، ياآل غسان ، ياآل لخم ، ياآل جذام ، ياآل طي ، ياآل هذيل ، ياآل ربيعة .[٢١٨]

ولعل الذي دفع الخطباء الى افتتاح خطبهم بهذه

www.attaweel.com

الفواتح ، هو رغبتهم في الاختصار والدخول في الموضوع مباشرة من غير تقديم او الابتداء بالحمد والثناء ، إذ أن الجهاد في الظروف الحاسمة يستدعي الابتداء بتلك الفواتح بقصد اثارة الحماس وتنشيط العزائم ، ولذلك كان الخطباء اذكياء في اختيار هذه الابتداءات حتى يكون التاثير بها أقوى وأشد في نفوس المقاتلين . ولايعني ذلك أنهم تركوا الاستهلال المتعارف عليه في خطبهم ، بل وجدت بعض الخطباء يبتدأ خطبته بعد حمد الله والثناء عليه : اما بعد ، ايها الناس ، قد علمتم ، وغيرها ، وبعضهم يبتدأ خطبته بقوله : الحمد لله ، والله أهله ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اما بعد .[٢١٩]

وتفسير ذكر الحمد والثناء والشهادة والصلاة على رسول الله (ﷺ) ان هناك متسعاً من الوقت ، وأن الظروف تسمح باستخدام هذه الابتداءات ، أما ظروف القتال وانشغال المسلمين به فتبيح للخطيب الدخول في الموضوع مباشرة من غير الاستهلال بالحمد والثناء .

أما خواتم الخطب فهي متنوعة وغير محددة ، ومن الامثلة على ذلك قوله : ويغفر الله لي وللمسلمين ، وأعد عدته ، حتى تبلغه ، فسر بنا على بركة الله ، ان كلًا لفيه الخير ، اني احب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف ، إن الله مظهركم وناصركم ، اما انتصار وإما استشهاد ، فاغدوا واستعدوا ، يابني حنيفة ، وامضوا قدماً ، فإن الله قد جمعهم ، من أراد ثواب العاجل والاجل فلينكمش ، عما أنتم عليه ، وهو يسرني لعامتكم ، اين عباد الله الصالحون ، ولها ان شاء الله مابعدها ، قاتلوهم التماس احدى الحسنيين ، الشهادة والجنة والغنيمة والجنة ، والا فالآخرة ماأردتم ، وانصروا الله ينصركم ، ودخول النار وغضب الجبار .[٢٢٠]

غير أن هناك بعض الخطب اختتمت بآي من الذكر الحكيم ، كخطبة ابي بكر (رضي الله عنه) يوم جمع المسلمين بعد وفاة الرسول (ﷺ)[٢٢١] فقد اختتمها بقوله تعالى : (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم في الأرْضِ)[٢٢٢] وخطبة المثنى بن حارثة الشيباني في معركة البويب ،[٢٢٣] فقد اختتمها بقوله تعالى : (وَٱسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[٢٢٤] واختتم سعد بن ابي وقاص خطبته في وقعة الحيرة[٢٢٥] بقوله تعالى : (رَبَّنَا افْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)[٢٢٦] .

ونخلص الى القول إن الاختتام بآي الذكر الحكيم إنما كان يقصُدُهُ الخطباء من أجل التاثير في نفوس المجاهدين .

٥ . السجع :

واذا نظرنا في موضوع السجع وجدنا أن السمة الغالبة في خطب المجاهدين في عصر صدر الاسلام ، هي ترك السجع ، وقد يقع عرضاً في خطبهم ، « من قبيل الطبع والفطرة لا من قبيل الصنعة والتكلف »[٢٢٧] فلم يعد استخدامهم له الا قليلًا ، لانه من صناعة الكهان في الجاهلية ، وقد استخدمه الجاهليون في أغراض لايحبها الاسلام ولايقرها ،[٢٢٨] لذلك استهجنه الرسول (ﷺ) وقال لمن استعمله في كلامه : « أسجعاً كسجع الكهان »[٢٢٩] وكذلك ردّه الخلفاء على ملتزميه ، فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لصُحار العبدي : « أسَجُاعٌ أنت أم مخبر »[٢٣٠] وقال معاوية لعبدالله بن الزبير : « تعلّمتَ أبا بكر السّجاعة عند الكِبَر »[٢٣١] .

وعلى هذا فإن الخطباء قد تخففوا في هذا العصر من سجع الكهان الذي كان يثقل خطب الجاهليين ، لكونه لايتفق وروح الاسلام وتعاليمه السمحاء التي جاءت للقضاء على البدع الجاهلية ، وإذا ما وقع شيءٌ من السجع في خطبهم ، فقد يضفي عليها رونقاً وزينةً مستحبة ، وهذا النوع نراه في خطب الرسول (ﷺ) وخطب اصحابه (رضي الله عنه)[٢٣٢] . ومن الامثلة على ذلك قوله ﷺ في خطبته يوم بدر الكبرى : « اللّهُ عظيمٌ شانهُ ، يامرُ بالحقّ . ويحب الصدق .. وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرّج الله به الهمّ ، وينجي به من الغمّ .. فإن وعده حق وقوله صدق .. إليه الجانا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكّلنا »[٢٣٣] . وقول ابي بكر (رضي الله عنه) في خطبته يوم ندب المسلمين لفتح بلاد الشام « وزادكم ايمانا ويقينا ونصركم نصراً مبينا »[٢٣٤] وقول عمر (رضي الله عنه) في خطبته التي شيّع فيها سعد بن ابي وقاص الى القادسية : « فإمّا الامارات ، فالحياء والسخاء ، والهيْن واللّيْن »[٢٣٥] . وقول العلاء بن الحضرمي في خطبته يوم ندب المسلمين في البحرين لقتال المرتدين في دارين : « قد أراكم من آياته في البَرِ لِتَعْتَبروا فيها في البحرِ » . وقول عمرو بن العاص في وقعة اليرموك : « سيفتحوها كِفْراً كِفْراً وقَصْراً قَصْراً » .[٢٣٦] وقول خالد بن الوليد في خطبته في موقعة اجنادين : « واياكم ان تولوا الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار ، واقرنوا المناكب ، ومكنوا المضارب » .[٢٣٨]

٦ . الصور البيانية والمحسنات اللفظية :

لقد حفلت خطب الجهاد بالعديد من الصور البيانية ، ويأتي استخدام الخطباء لها عن غير قصد أحياناً ، وقد برعوا في ذلك واجادوا ، وتمكنوا من توجيه عواطف المجاهدين من خلال تلك الصور المثيرة للخيال ، التي كان لها فعلها الكبير في تجلية المعاني التي طرقوها في خطبهم وتوضيحها ، وقد كانت معظم خطب الجهاد بسبب الحروب واشتداد المواقف ، أي أن الخطباء لم يتفوهوا بها الا بعد حالة من الانفعال الشديد

www.attaweel.com

الذي يثير كوامن النفس، ويحرّك الشعور، مما يؤدي الى اشتداد الخيال، فيأتي بصور قوية وصادقة، تُبهر المجاهدين وترغبهم على القتال[٢٣٩] ففي يوم ارماث دافع بنو أسد عن بجيلة وعمّن معها دفاعاً عظيماً، فخطب الاشعث بن قيس في قومه بني كنده يحرضهم على القتال، مبيناً وقفة بني أسد الشجاعة وقتالها المستميت في ذلك اليوم، وباسلوب يعتمد التصوير فقال.

« يامعشر كِنْدَة، لله درُّ بني أسدٍ، أيَّ فَرِيّ يَفْرُون[٢٤٠]، وأيَّ هَذٍّ يَهُذُّون[٢٤١] عن موقفهم اليوم! أغْنَى كلّ قوم مايلِيهم، وأنتم تنتظرون من يكفيكم الباس! أشْهَدُ ماأحسنتم أشوَةُ قومكم العربُ منذ اليوم، وإنَّهم ليُقتلون ويقاتلون، وأنتم جثاةٌ على الرُّكب تنظرون! »[٢٤٢].

وقد برع في هذا التصوير ايضاً خالد بن الوليد في خطبته في معركة اليرموك التي وقف فيها يحرّض المجاهدين على الاستبسال في القتال واحكام القبضة على الروم، مصوراً هزيمة الروم وانكسارهم، فقال:

« ياأهل الاسلام والايمان، وياحملة القرآن، ويأصحاب محمد (ﷺ) قد تبينت في الكسرة العظيمة، ولم يبق عند القوم من الجلد على القتال الا مارأيتم، وقد كسر الله حدتهم، فرُدوا على الكسرة، وشدُّوا عليهم الكرّة رحمكم الله، فو الذي نفس خالد بيده، إني لأرجو أن يمنحكم الله على اكتافهم »[٢٤٣].

وعمد الى هذا الاسلوب ايضاً عمرو بن العاص في تصويره الكيفية التي سيتم بها فتح مدينة اليرموك، والحالة المأساوية التي سينتهي اليها جنود الروم في خطبته التي قال فيها:

« .. لقد سمعت ان المسلمين سيفتحونها كِفْراً كِفْراً وقَصْراً قَصْراً، فلا يهولنّكم جموعهم ولاعددهم، فإنكم لو صَدَقْتُمُ الشَدَّ تطايروا تطاير أولاد الخَجَل »[٢٤٤]

ويتبين من هذه الخطبة أن الصور التي استخدمها الخطباء المجاهدون في خطبهم كانت حسية مستمدة من الواقع المحسوس، ومفهومة لدى المستمعين. كما زخرت خطبهم ايضاً بالصور البيانية غير المتكلفة، والبرئية من العيوب، فكانت في غاية الجودة والحسن[٢٤٥] فمن صور الكناية، نذكر ماقاله خالد بن الوليد في خطبته في وقعة الدير:

« .. وهذا العدوُّ قَدْ زَحَفَ بِخُيَلِهِ .. وكُونوا مِمَّنْ باعَ نفسَه لله عزَّ وَجَل »[٢٤٦] ففي العبارة الاولى كناية عن تقدم جيش الروم نحو المسلمين، وفي العبارة الثانية كناية عن الاستعداد للمواجهة واخلاص النية لله عزّ وجل.

وماقاله زيد بن الخطاب في خطبته باليمامة: « .. عضُّوا على أضراسكم ايُّها الناس واضربوا في عدوّكم »[٢٤٧] كناية عن التهيؤ والاستعداد بكل قوة لضرب المرتدين.

واستخدم الخطباء المجاهدون المحسنات اللفظية، ولكن استخدامهم لها كان قليلًا وبصورة فطرية من غير قصد او تكلف، فكان لها وقعها الجميل في خطبهم، وتاثيرها القوي في نفوس المجاهدين، ومن الامثلة على ذلك صورة الجناس الواضحة في خطبة سعد بن ابي وقاص في وقعة الحيرة: « .. وارموا الخيلَ على الخيلِ تنالوا جزيل النيل »[٢٤٨] وهو جناس ناقص اختلف فيه الحرف.

ونرى الجناس الناقص واضحاً في خطبة خالد بن الوليد في اليمامة: « فمن أراد ثواب العاجل والآجل فَلْيَنْكَمِش »[٢٤٩].

ومن صور الجناس الناقص في نوع الحرف نذكر قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي في معركة اليرموك: « .. ارضيتم بالعار ودخول النار وغضب الجبار »[٢٥٠].

ومن امثلة الجناس الناقص ايضاً قول جرير بن عبدالله البجلي في خطبته يوم جلولاء: « ... خَطّاً سَبَنِيّاً وعيشاً هَنِيّاً انكم الانجاد والامجاد »[٢٥١].

كما وردت صور من الطباق في بعض الخطب، نذكر منه ماورد في خطبة طليحة بن خويلد الاسدي في قومه يوم أرماث: « .. شدّوا ولاتصدُّوا، وكرّوا ولاتفرّوا »[٢٥٢].

وجاء الطباق ايضاً في خطبة عقبة بن عامر في وقعة تبسه: « .. فإذا ثبت الأمير ثبت الجيش واذا انهزم الامير انهزم الجيش »[٢٥٣].

وطابق خالد بن الوليد بين الموت والحياة في أحد خطبه فقال: « .. أتيتكم باقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة »[٢٥٤].

الهوامش

(١) انظر: الخطابة في عصرها الذهبي: احسان النص (دار المعارف بمصر ١٩٦٣) ٨.

(٢) انظر: الخطابة عند العرب: محمد الخضر حسين (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ) ١٣.

(٣) البيان والتبيين: ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت عبدالسلام هارون، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ م) ٢٨٧/١.

(٤) صبح الاعشى: أبو العباس القلقشندي (المطبعة الاميرية

www.attaweel.com

بالقاهرة ١٩١٣) ١/٢١٠ ـ ٢١١ .
(٥) انظر : في ادب الاسلام : محمد عثمان علي (دار الاوزاعي ط ١ ١٩٨٤ م) ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .
(٦) انظر : الخطابة في صدر الاسلام : د . محمد ظاهر درويش (دار المعارف بمصر ١٩٦٥) ١/٥٧ .
(٧) انظر الاغاني : ابو الفرج الاصفهاني (ت عبدالستار احمد فراج ، طبعة الثقافة بيروت ١٩٥٩) ١٦/٢١٦ ، ٢٢٢ .
(٨) انظر : الاغاني (ط الهيئة) ٢٤/٦٩ ـ ٧٠ .
(٩) البيان والتبيين ١/٣٤٨ .
(١٠) انظر : البيان والتبيين ١/١١٦ .
(١١) المصدر نفسه ١/٤٠٨ .
(١٢) انظر : العقد الفريد : ابن عبدربه (مطبعة لجنة التاليف والترجمة بالقاهرة ١٩٦٧ م) ٤/١٢٨ ، وصبح الاعشى ١/٢١١ ـ ٢١٢ .
(١٣) انظر : العقد الفريد ٣/٣٠٧ .
(١٤) انظر : مجمع الامثال : ابو الفضل الميداني (ت ابي الفضل ، دار الجيل بيروت ط ٢ ١٩٨٧) ١/٦٣ .
(١٥) انظر : العقد الفريد ٦/٨٣ .
(١٦) انظر : المصدر نفسه ٦/١١٠ .
(١٧) انظر : السيرة الحلبية : علي بن برهان الدين الحلبي ، دار المعرفة بيروت (د . ت) ١/٧ .
(١٨) البيان والتبيين ١/٤٣ ، ٣٠٨ ، ٣٦٥ .
(١٩) المصدر نفسه ١/٣١٢ .
(٢٠) الاشتقاق : ابو بكر بن دريد (منشورات مكتبة المثنى بغداد ط ٢ ١٩٧٩) ١٦٨ .
(٢١) البيان والتبيين ١/٣٦٥ .
(٢٢) المصدر نفسه ١/٢٣٨ .
(٢٣) الاغاني (طبعة دار الكتب) ١٤/٦٩ .
(٢٤)المصدر نفسه ١٤/٦٦ .
(٢٥) البيان والتبيين ١/٣٥١ .
(٢٦) الاغاني (ط دار الكتب) ٤/١٨٧ .
(٢٧) الطبري ٢/٢٥١ ومابعدها (ت ابي الفضل ط ٥ د . ت)
(٢٨) الاغاني (ط الهيئة) ٢٤/٦٩ .
(٢٩) انظر : الخطابة في عصرها الذهبي : احسان النص ٢٢ .
(٣٠) انظر : تاريخ الادب العربي ـ العصر الاسلامي : د . شوقي ضيف (ط ٩ دار المعارف د . ت) ١٠٦ ومابعدها .
والخطابة اصولها وتاريخها في أزهى عصورها عند العرب : محمد ابو زهرة (ط ١ مطبعة العلوم بالقاهرة ١٩٣٤) ٤٨ ومابعدها ، والخطابة في عصرها الذهبي : احسان النص ٣٠ ومابعدها ، وفي ادب الاسلام : محمد عثمان علي ٢٣٦ ومابعدها .
(٣١) البيان والتبيين ٢/٦ .
(٣٢) سورة الشورى / الاية ٣٧ .
(٣٣) انظر : الطبري ٣/١١٥ .
(٣٤) المصدر نفسه ٣/٢٧٣ .
(٣٥) المصدر نفسه ٧/١١٥ ـ ١١٧ .
(٣٦) المصدر نفسه ٣/٢٧٢ ـ ٢٧٣ .
(٣٧) انظر : الطبري ٢/٣١٩ .
(٣٨) سورة الحجر/الاية ٩٤ .
(٣٩) انظر : الطبري ٢/٢٩٤ .
(٤٠) انظر : الطبري ٣/٦٠ ، وسيرة ابن هشام (ت السقا وآخرون ط ٢ الباب الحلبي) ٤/٥٤ .
(٤١) سيرة ابن هشام ٤/٢٥٠ ، والبيان والتبيين ٢/٣١ .
(٤٢) انظر : المغازي : محمد بن عمر الواقدي (ت . د . مارسدن ، مطبعة جامعة اكسفورد ١٩٦٦) ٥٨ .
(٤٣) انظر : فتوح الشام : محمد بن عمر الواقدي (مطبعة حجازي بالقاهرة د . ت) ١/٢ .
(٤٤) انظر : الطبري ٣/٤٤٥ .
(٤٥) انظر : البيان والتبيين ٢/٥٣ .
(٤٦) انظر : سيرة ابن هشام ٤/٢٠٧ ، والطبري ٣/١١٤ ـ ١١٥ .
(٤٧) انظر : العقد الفريد ١/١١٦ .
(٤٨) انظر : الطبري ٣/٢٢٣ ، ٤/٢١٤ ، وسيرة ابن هشام ٤/٣١١ ، والبيان والتبيين ٣/١٣٨ .
(٤٩) انظر : الامامة والسياسة : ابن قتيبة الدينوري ، وهو المعروف بتاريخ الخلفاء ، تحقيق د . طه محمد الزيني ، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه (د . ت) ١/١٢ ـ ١٣ .
(٥٠) انظر : الطبري ٤/٥٢ .
(٥١) انظر : البيان والتبيين ١/١١٧ .
(٥٢) انظر : الطبري ٢/٤٥ .
(٥٣) انظر : الطبري ٣/٤٨٣ .
(٥٤) المصدر نفسه ٣/٤٦٥ .
(٥٥) الجَهْدَ والجُهْدَ : تقول اجْهد جَهْدك ، وقيل الجهد المشقة ، والجُهْد : الطاقة . وجاهدوا العدو مجاهدة وجهاداً : قاتله وجاهد في سبيل الله . ونية الجهاد محاربة الاعداء ، وهو المبالغة واستفراغ ماني الوسع والطاقة ، من قولٍ او فعلٍ ، والمراد بالنية اخلاص العمل لله وحده (جمهرة اللغة ٢/٧١ ، تهذيب اللغة ٦/٣٧ ، لسان العرب ٤/١٠٧ ـ ١٠٩) .
(٥٦) سورة الحج/ الاية ٧٨ .

www.attaweel.com

(٥٧) سورة المائدة/ الاية ٣٥ .
(٥٨) سورة الفرقان/ الاية ٥٢ .
(٥٩) سورة التوبة/ الاية ٧٣ .
(٦٠) سورة العنكبوت / الاية ٦ .
(٦١) سورة الصف/الاية ١١ .
(٦٢) سورة البقرة/الاية ١٩٣ .
(٦٣) سورة محمد/ الاية ٣١ .
(٦٤) سورة الانفال/ الاية ٦٠ .
(٦٥) سورة العنبكوت/ الاية ٦٩ .
(٦٦) سورة الصف/ الاية ٤ .
(٦٧) سورة البقرة/ الاية ٢٤٤ .
(٦٨) سورة التوبة/ الاية ٣٦ .
(٦٩) سورة الحج/ الاية ٣٩ ، ٤٠ .
(٧٠) سورة التوبة/ الاية ٤١ .
(٧١) سورة البقرة/الاية ١٥٤ .
(٧٢) سورة آل عمران/ الاية ١٦٩ .
(٧٣) صحيح مسلم (بشرح النووي ، دار احياء التراث العربي بيروت ط٣ ١٩٨٤) ٣٤/١٣ .
(٧٤) صحيح مسلم ٢٠/١٣ .
(٧٥) صحيح سنن النسائي (طبعة المكتب الاسلامي في بيروت ١٩٨٨ م) ٦٦٦/٢ .
(٧٦) انظر : الجهاد في الاسلام : محمد اسماعيل ابراهيم (ط ١ دار الثقافة العربية للطباعة ١٩٦٤ م) ٥٧ .
(٧٧) سورة البقرة/ الاية ٢٥٦ .
(٧٨) سورة غافر/ الاية ١٠ .
(٧٩) المغازي : الواقدي (ت . د . مارسدن جونس ، مطبعة جامعة اكسفورد ٩٦٦) ٥٨/١ ،
شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد (تر محمد ابو الفضل طبعة البابي الحلبي ١٩٦٢) ١٢٠/١٤ ـ ١٢١ .
(٨٠) سيرة ابن هشام ، ٦١٤/١ ـ ٦١٥ ، الطبري ٤٣٤/٢ ، الاغاني ١٧٦/٤ .
(٨١) سورة المائدة/ الاية ٢٤ .
(٨٢) سيرة ابن هشام ٦١٥/١ ، الطبري ٤٣٤/٢ .
(٨٣) استعرض البحر : أتاه من جانبه .
(٨٤) سيرة بن هشام ٦١٥/١ ، الطبري ٤٣٥/٢ ، الاغاني ١٧٨/٤ .
(٨٥) المصادر السابقة : الصفحات نفسها .
(٨٦) سيرة ابن هشام ٦٢٧/١ ، الطبري ٤٤٨/٢ .
(٨٧) بكسر الخاء واسكانها ؛ كلمة تقال للإعجاب .
(٨٨) سيرة ابن هشام٦٢٧/١ ، الطبري ٤٤٨/٢ .
(٨٩) الطبري ٤٤٨/٢ .
(٩٠) انظر : سيرة ابن هشام ٦٤٦/١ ، والطبري ٤٤٩/٢ .
(٩١) انظر : سيرة ابن هشام ٦٠/٢ ، والطبري ٥٠٢/٢ .
(٩٢) انظر : مغازي الواقدي ٢١١/١ .
(٩٣) مغازي الواقدي ٢١١/١ .
(٩٤) المصدر نفسه ٢١١/١ ـ ٢١٢ .
(٩٥) انظر : المصدر نفسه ٢١١/١ ـ ٢١٢ .
(٩٦) انظر : المصدر نفسه ٢١٣/١ .
(٩٧) المصدر نفسه ٢٢١/١ ـ ٢٢٢ .
(٩٨) مغازي الواقدي ٢٨١/١ .
(٩٩) انظر : المصدر نفسه ٢٨١/١ .
(٩٩) مغازي الواقدي ٧٦٠/٢ .
(١٠٠) سورة آل عمران / الاية ١٤٤ .
(١٠١) سورة آل عمران / الاية ١٠٣ .
(١٠٢) سورة النور / الاية ٥٥ .
(١٠٣) البداية والنهاية : ابن كثير (طبعة السعادة بمصر د . ت) ٣١٢/٦ .
(١٠٤) انظر : الخطابة في صدر الاسلام : د . محمد طاهر درويش ٢٤٣ .
(١٠٥) كافرة : مظلمة .
(١٠٦) الطبري ٢٤٥/٣ ، شرح نهج البلاغة ١٥٣/١٧ ، البداية والنهاية ٣١٢/٦ ـ ٣١٣ .
(١٠٧) انظر : الطبري ٢٤٤/٣ ومابعدها .
(١٠٨) الاستيعاب في معرفة الاصحاب : ابن عبدالبر ، ت البجاوي ، طبع مصر ١٩٦٠ ، ٢١٥/١ .
(١٠٩) انظر : البداية والنهاية ٣٢٤/٦ .
(١١٠) الطبري ٢٩١/٣ .
(١١١) الطبري ٢٩١/٣ ، البداية والنهاية ٣٢٤/٦ .
(١١٢) الطبري ٢٩١/٣ .
(١١٣) الطبري ٣١٠/٣ ـ ٣١١ .
(١١٤) انظر : الطبري ٣١١/٣ ، البداية والنهاية ٣٢٩/٦ .
(١١٥) سورة التوبة/ الاية ٤١ .
(١١٦) انظر : البطولة في الشعر العربي : د . شوقي ضيف (دار المعارف بمصر ١٩٧٠) ٤٣ ـ ٤٥ .
(١١٧) انظر : الخطابة في عصر صدر الاسلام : د . محمد طاهر درويش ١٥١ .
(١١٨) فتوح الشام : محمد بن عبدالله الازدي (تحقيق عبدالمنعم عامر ، القاهرة ١٩٣٠) ٥٦ ، فلْيَنْكَمِش : فلْيَشْمَر .

www.attaweel.com

(١١٩) الرفغ : مجتمع التراب .
(١٢٠) الطبري : ٣٥٤/٣ .
(١٢١) انظر : فتوح الشام للازدي ٦٨ .
(١٢٢) انظر : الطبري ٣/٤١٦ .
(١٢٣) سورة التوبة : الاية ٣٣ .
(١٢٤) الطبري ٤٤٥/٣ .
(١٢٥) الطبري ٤٤٥/٣ .
(١٢٦) انظر : الطبري ٤٤٤/٣ ـ ٤٤٥ .
(١٢٧) الطبري ٤٦٥/٣ .
(١٢٨) المستبسل : رجل من المسلمين فز من الزحف يوم الجسر وقد عقد العزم على الاستبسال في المعركة المقبلة (البويب) .
(١٢٩) سورة المزمل/ الاية ٢٠ .
(١٣٠) الطبري ٤٦٥/٣ .
(١٣١) الطبري ٤٦٩/٣ .
(١٣٢) انظر : الطبري ٤٧٤/٣ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٢ ـ ٤٨٣ ، ٤٨٧ .
(١٣٣) سورة الانبياء / الاية ١٠٥ .
(١٣٤) الطبري ٥٣١/٣ ـ ٥٣٢ .
(١٣٥) انظر : شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام : النعمان عبدالمتعال القاضي (الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ م) ١٣٢ .
(١٣٦) سورة فاطر/ الاية ١٠ .
(١٣٧) فتوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان : محمد بن عمر الواقدي (المطبعة المحروسة بمصر ١٨٩٦) ٢٣ ـ ٢٤ .
(١٣٨) انظر : الطبري ٥٣٢/٣ ـ ٥٣٥ ، ٥٣٨ ـ ٥٣٩ .
(١٣٩) الطبري ٥٥٤/٣ .
(١٤٠) المصدر نفسه ٥٦٠/٣ .
(١٤١) انظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(١٤٢) انظر : المصدر نفسه ٥٦٣/٣ ـ ٥٦٦ .
(١٤٣) انظر : المصدر نفسه ٩/٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، وفتوح الاسلام للواقدي ٦٢ ـ ٤ ، وفتوح ابن اعثم ٢٧٣/١ ـ ٢٧٦ (طبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الركن ١٩٦٨ م) .
(١٤٤) أخطرتم واخطروا : تراهنتم وتراهنوا وتسابقوا .
(١٤٥) الزثة : المتاع .
(١٤٦) الطبري ١٣١/١ ـ ١٣٢ .
(١٤٧) انظر : البطولة في الشعر العربي ٥٢ ، ٥٧ .
(١٤٨) سورة المائدة/ الاية ٣ .
(١٤٩) سورة النساء/ الاية ٥٩ .
(١٥٠) فتوح الشام للواقدي ٢/١ .
(١٥١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/١ .
(١٥٢) سورة البقرة /الاية ٢٤٩ .
(١٥٣) صحيح مسلم ٤٧/١٢ .
(١٥٤) فتوح الشام للواقدي ٥/١ .
(١٥٥) انظر : المصدر نفسه ٥/١ .
(١٥٦) صحيح مسلم ٤٧/١٢ .
(١٥٧) سورة آل عمران /الاية ١٠٢ .
(١٥٨) فتوح الشام للواقدي ١٥/١ .
(١٥٩) انظر : المصدر نفسه ١٦/١ ومابعدها .
(١٦٠) انظر : المصدر نفسه ١٧/٢ ومابعدها .
(١٦١) انظر : المصدر نفسه ٩٦/١ ومابعدها .
(١٦٢) المصدر نفسه ١٢٥/١ .
(١٦٣) الخجل : صغار الإبل واولادها (اللسان ١٤٣/١١ مادة حجل)
(١٦٤) البداية والنهاية ٩/٧ .
(١٦٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(١٦٦) فتوح الشام للواقدي ١٢٧/١ .
(١٦٧) انظر : فتوح الشام للواقدي ١٢٧/١ .
(١٦٨) المصدر نفسه ١٢٨/١ .
(١٦٩) انظر : المصدر نفسه ١٣٥/١ ـ ١٣٨ .
(١٧٠) انظر : المصدر نفسه ١٣٨/١ ومابعدها .
(١٧١) انظر : المصدر نفسه ٣٠/٢ ومابعدها ، والطبري ١٠٤/٤ ومابعدها .
(١٧٢) انظر : فتوح مصر واخبارها : ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم (طبع في مدينة ليدن ١٩٢٠ ، واعادت طبعة بالاوفسيت مكتبة المثنى ببغداد) ١٧١ .
(١٧٣) انظر : الطبري ٤٦٨/٦ .
(١٧٤) انظر : شعر الفتوح الاسلامية ١٦٥ .
(١٧٥) الفروسية في أدب القرن الاول الهجري : عبادة حرز حبيب (رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة بغداد ١٩٨٣ م) ٣٦٦ .
(١٧٦) سورة غافر/ الاية ١٠ .
(١٧٧) أنظر : الخطبة في المبحث الاول .
(١٧٨) سورة آل عمران /الاية ١٤٤ .
(١٧٩) أنظر : الخطبة في المبحث الاول .
(١٨٠) سورة التوبة/ الاية ٣٣ .
(١٨١) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(١٨٢) سورة النساء/ الاية ٥٩ .
(١٨٣) أنظر : الخطبة في المبحث الثاني .

www.attaweel.com

(١٨٤) سورة الانبياء/ الآية ١٠٥ .
(١٨٥) أنظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(١٨٦) سورة فاطر/ الآية ١٠ .
(١٨٧) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(١٨٨) سورة آل عمران /الآية ١٠٣ .
(١٨٩) أنظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(١٩٠) سورة البقرة/ الآية ٢٤٩ .
(١٩١) أنظر : فتوح الشام للواقدي ٥/١ .
(١٩٢) أنظر : المصدر نفسه ٢٧/١ .
(١٩٣) أنظر : فتوح افريقية لابي عبدالله محمد بن عمر الواقدي ، مطبعة المنار بتونس ١٩٦٦ م ١٢/١ .
(١٩٤) انظر : الخطبة في فتوح الاسلام للواقدي ٤١ ، والحديث في مسند ابن حنبل (طبعة قرطبة) ٢١٠/١ .
(١٩٥) انظر : فتوح افريقية ١٠١ .
(١٩٦) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(١٩٧) انظر : الخطب التي تم الاستشهاد بها في هذا البحث .
(١٩٨) انظر : الخطب التي تم الاستشهاد بها في هذا البحث .
(١٩٩) انظر : الخطب التي تم الاستشهاد بها في هذا البحث .
(٢٠٠) انظر : البيان والتبيين ٨٣/١ ، والفروسية في ادب القرن الاول الهجري ٣٦٠ .
(٢٠١) انظر : الخطبة في البحث الاول .
(٢٠٢) انظر : الخطبة في المبحث الاول .
(٢٠٣) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(٢٠٤) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(٢٠٥) انظر : هذه الخطب في المبحث الاول .
(٢٠٦) انظر : الخطبة في البحث الاول .
(٢٠٧) انظر : الخطبة في المبحث الاول .
(٢٠٨) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(٢٠٩) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(٢١٠) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(٢١١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢٧/١ .
(٢١٢) انظر : الطبري ٥٦٣/٣ ـ ٥٦٦ .
(٢١٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ١٢٥/٢ والبداية والنهاية ٩/٧ .
(٢١٤) انظر : الخطبة في المبحث الاول .
(٢١٥) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(٢١٦) البيان والتبيين ٦/٢ .
(٢١٧) انظر : الخطب التي تم الاستشهاد بها في هذا المبحث .
(٢١٨) انظر : خطبة عقبة بن عامر في غزوة تبسه في فتوح افريقية للواقدي ص ١٠٩ .
(٢١٩) انظر : الخطب التي تم الاستشهاد بها في هذا البحث .
(٢٢٠) انظر : الخطب التي تم الاستشهاد بها في هذا البحث ،
(٢٢١) انظر : الخطبة في المبحث الاول .
(٢٢٢) سورة النور/ الآية ٥٥ .
(٢٢٣) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(٢٢٤) سورة المزمل/ الآية ٢٠ .
(٢٢٥) انظر : فتوح الاسلام للواقدي ٢٠ .
(٢٢٦) سورة الاعراف/الآية ١٢٦ .
(٢٢٧) النثر الفني واثر الجاحظ فيه : عبدالحكيم بلبع (طبع مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٢ م) ١١٨ .
(٢٢٨) انظر : الخطابة في صدر الاسلام : د . محمد طاهر درويش ٤٥٧/١ ، والفروسية في أدب القرن الاول الهجري ٣٦٠ .
(٢٢٩) كتاب الصناعتين : ابو هلال العسكري (ت علي البجاوي وابي الفضل ابراهيم ، طبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٧١) ٢٦٧ .
(٢٣٠) الطبري (ط ٤ ت ابي الفضل د . ت) ١٨٢/٤ .
(١٣١) البيان والتبيين ٣٠١/١ .
(٢٣٢) انظر : الخطابة في صدر الاسلام : د . محمد طاهر درويش ٤٢٧/١ .
(٢٣٣) انظر : الخطبة في المبحث الاول
(٢٣٤) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(٢٣٥) الطبري ٤٨٥/٣ .
(٢٣٦) انظر : الخطبة في المبحث الاول .
(٢٣٧) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
(٢٣٨) فتوح الشام للواقدي ٣١/١ .
(٢٣٩) انظر : الفروسية في أدب القرن الاول الهجري ٣٦٢ .
(٢٤٠) الفري : الامر العظيم ، ويقال فلان يفري اذا كان ياتي بالعجب في عمله .
(٢٤١) الهذ : القطع .
(٢٤٢) الطبري ٥٣٩/٣ .
(٢٤٣) فتوح الشام للواقدي ١٢٨/١ .
(٢٤٤) البداية والنهاية ٩/٧ والخَجَل : صغار الإبل وأولادها .
(٢٤٥) انظر : الفروسية في ادب القرن الاول الهجري ٣٦٣ ، ٣٦٤ .
(٢٤٦) انظر : فتوح الشام ١٨/١ .
(٢٤٧) الطبري ٢٩١/٣ .
(٢٤٨) فتوح الاسلام للواقدي ٢٠ .
(٢٤٩) فتوح الشام للازدي ٥٦ .
(٢٥٠) فتوح الشام للواقدي ١٢٧/١ .

www.attaweel.com

(٢٥١) فتوح الشام للواقدي ٦٢ ، والفتوح لابن اعثم ٢٧٣/١ .
(٢٥٢) الطبري ٥٣٩/٣ .
(٢٥٣) فتوح افريقية ١٠٩ .
(٢٥٤) الطبري ٣٤٤/٣ .

مصادر البحث ومراجعه

١ ـ القران الكريم
٢ ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب : ابن عبدالبر ، أبو عمر يوسف بن عبدالله (٤٦٣ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٠ م .
٣ ـ الاشتقاق : ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن (٣٢١ هـ) تحقيق عبدالسلام هارون ، ط ٢ منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ١٩٧٩ م .
٤ ـ الاغاني : الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦ هـ) طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٧ ، وطبعة الهيئة ١٩٧٤ ، ونسخة اخرى بتحقق عبدالستار احمد فراج ، طبعة دار الثقافة بيروت ١٩٥٩ م .
٥ ـ الامامة والسياسة (تاريخ الخلفاء) : ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ) تحقيق د . طه محمد الزيني ، الناشر مؤسسة البابي الجلي وشركاه (د.ت) .
٦ ـ البداية والنهاية : ابن كثير عماد الدين أبو الفداء الدمشقي (٧٧٤ هـ) طبعة السعادة بمصر (د . ت) .
٧ ـ البطولة في الشعر العربي : د . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر (د . ت) .
٨ ـ البيان والتبين : الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥ هـ) تحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ م .
٩ ـ تاريخ الادب العربي ـ العصر الاسلامي : د . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ط ٩ (د . ت) .
١٠ ـ تاريخ الرسل والملوك : الطبري ابو جعفر محمد بن جرير (ت . ٣١٠ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط ٥ دار المعارف بمصر (ت . د).
١١ ـ تهذيب اللغة : الازهري ، ابو منصور محمد بن احمد (٣٧٠ هـ) تحقيق عبدالسلام هارون ، الدار المصرية ١٩٦٥ م .
١٢ ـ جمهرة اللغة : ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن (٣٢١ هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر أباد الدكن) ، ١٣٤٥ هـ .
١٣ ـ الجهاد في الاسلام : محمد اسماعيل ابراهيم ط ١ دار الثقافة العربية للطباعة ١٩٦٤ م .
١٤ ـ الخطابة أصولها وتاريخها في أزهى عصورها عند العرب : محمد أبو زهرة ، مطبعة العلوم بالقاهرة ط ١ ١٩٣٤ م .
١٥ ـ الخطابة عند العرب : محمد الخضر حسين ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ .
١٦ ـ الخطابة في صدر الاسلام : د . محمد طاهر درويش ، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .
١٧ ـ الخطابة في عصرها الذهبي ، احسان النص ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م .
١٨ ـ السيرة الحلبية في سيرة الامين المامون انسان العيون : علي بن برهان الدين الحلبي ، دار المعرفة بيروت (د.ت) .
١٩ ـ السيرة النبوية : ابن هشام ، أبو محمد عبدالملك بن هشام (٢١٨ هـ) تحقيق مصطفى السقا واخرون ، ط ٢ البابي الحلبي (د . ت) .
٢٠ ـ شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ، عبدالحميد هبة الله المدائني (٦٥٥ هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، طبعة البابي الحلبي ١٩٦٢ م .
٢١ ـ شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام : النعمان عبدالمتعال القاضي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ م .
٢٢ ـ صبح الاعشى : القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (٨٢١ هـ) المطبعة الاميرية القاهرية ١٩١٣ .
٢٣ ـ صحيح سنن النسائي : ابو عبدالرحمن بن شعيب (٣٠٣ هـ) صحح احاديثه محمد ناصر الدين ، طبع المكتب الاسلامي ، ط ١ بيروت ١٩٨٨ م .
٢٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووي : أبو الحسن مسلم بن الحجاج (٢٦١ هـ) دار احياء التراث العربي ط ٣ بيروت ١٩٨٤ م .
٢٥ ـ الصناعتين : ابو هلال العسكري الحسن بن عبدالله (٣٩٥ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، طبعة البابي الجلبي ، مصر ١٩٧١ م .
٢٦ ـ العقد الفريد : ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الاندلسي ، تحقيق احمد امين وأخرون ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٧ م .
٢٧ ـ الفتوح ، ابن اعثم الكوفي (٣١٤ هـ) مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند ١٩٦٨ م .

www.attaweel.com

٢٨ ـ فتوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان : ابو عبدالله محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧ هـ) المطبعة المحروسة بمصر ١٨٩٦ .
٢٩ ـ فتوح افريقية : ابو عبدالله محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧ هـ) مطبعة المنار تونس ١٩٦٦ م .
٣٠ ـ فتوح الشام : الازدي محمد بن عبدالله (١٦٥ هـ) تحقيق عبدالمنعم عامر ، مطبعة سجل العرب ، القاهرة ١٩٣٠ م .
٣١ ـ فتوح الشام : ابو عبدالله محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧ هـ) مطبعة حجازي بالقاهرة (د. ت) .
٣٢ ـ فتوح مصر واخبارها : ابو القاسم عبدالرحمن الحكم (٢٥٧ هـ) ليدن ١٩٢٠ ، مكتبة المثنى بغداد .
٣٣ ـ الفروسية في ادب القرن الاول الهجري : عبادة حرز حبيب ، رسالة ماجستير غير منشورة في آداب بغداد ١٩٨٣ م .
٣٤ ـ في ادب الاسلام : محمد عثمان علي ، دار الاوزاعي ط ١ ١٩٨٤ م .
٣٥ ـ لسان العرب : ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١ هـ) دار صادر بيروت (د . ت) .
٣٦ ـ مجمع الامثال : الميداني ، ابو الفضل احمد بن محمد (٥١٨ هـ) دار الجيل بيروت ط ٢ ١٩٨٧ م .
٣٧ ـ مسند احمد بن حنبل : احمد بن محمد الامام (٢٧٦ هـ) طبع مؤسسة قرطبة ـ الاندلس (د . ت) .
٣٨ ـ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي الشريف : لفيف من المشرقين ، دار الدعوة استنبول ١٩٨٦ .
٣٩ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٤ م .
٤٠ ـ المغازي : ابو عبدالله محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧ هـ) تحقيق د . مارسون ، اكسفورد ١٩٦٦ م .
٤١ ـ النثر الفني واثر الجاحظ فيه : عبدالحكيم بلبع ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٢ م .

• • • •

صدر حديثاً عن دار الشؤون الثقافية العامة

www.attaweel.com